

إنه منتصف الليل يا دكتور شويتزر

(مسرحية من فصلين)

تأليف: جيلبير سيسبرون

ترجمة: د. منتجب صقر

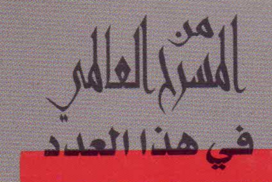
مراجعة: أ. د. أحمد شعبو

دراسة: أ. د. محمود المقداد

العدد 367

سبتمبر 2013

تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت



في هذا العدد

إنه منتصف الليل يا دكتور شويتزر

تجري هذه الأحداث في الأول من أغسطس (آب) ١٩١٤ حيث تظهر الحرب والحب والموت على المسرح. وبالإضافة إلى الدكتور شويتزر هناك شخصيات رئيسية في هذه المأساة مثل الممرضة ماري، الضابط ليوفان، المدير لوبلان، الأب شارل، وهي تصل في فضاء يومين إلى نهاية دراماتيكية أكثر منها تاريخية.

يذهب الدكتور شويتزر إلى الغابون، التي كانت مستعمرة فرنسية آنذاك، كي يحارب مرض الملاريا الذي انتشر بكثرة بين الناس. كان المدير لوبلان لا يقدر عمله ولا مهمته، لكن الدكتور شويتزر كان يعتمد على الممرضة ماري والأب شارل لكي يساعداه في مهمته الإنسانية. يركز الدكتور شويتزر في حواراته مع الضابط ليوفان والمدير لوبلان على الناحية الإنسانية التي يجب على المستعمر أن يعامل بها الأهالي المحليين لكن هذين الاثنين لا يتجاوبان معه وينتهجان منطق القوة.

يبقى الدكتور شويتزر مخلصا لمهمته الإنسانية ويدافع عنها دوما على الرغم من تحذيرات لوبلان وليوفان له بالعودة إلى فرنسا بعد تعاظم خطر السكان المحليين الذين يتعرضون للفرنسيين، بيد أنه يبقى في المشفى القديم في الغابون، في منتصف الغابة ويسعى جاهدا إلى إنقاذ حياة ثلاثمائة مريض. تسلط هذه المسرحية الضوء على الأشخاص الذين كان لهم دور إيجابي في المستعمرات الفرنسية مثل الدكتور شويتزر بشكل يقدم صورة حضارية وإنسانية للمستعمر الفرنسي في أفريقيا. في نهاية المسرحية يعزف الدكتور شويتزر على البيانو. يقاطعه صوت المدير لوبلان قائلا: «إنه منتصف الليل يا دكتور شويتزر». تذكره مساعدته ماري بضرورة الراحة. يسمع صوت قرع طبول تصدر من الغابة وينقل طفلا مريضا إلى المشفى.

ISBN 978- 99906-0- 394-1
رقم الإيداع: (٣٢٥/٢٠١٣)



إنه منتصف الليل يا دكتور شويتزر

(مسرحية من فصلين)

تأليف: جيلبير سيسبرون

ترجمة: د. منتجب صقر

مراجعة: أ. د. أحمد شعبو

دراسة: أ. د. محمود المقداد

من
المسرح العالمي

تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
دولة الكويت

almasrahalaalami@yahoo.com
almasrahalaalami@gmail.com

www.kuwaitculture.org

إنه منتصف الليل يا دكتور شويتزر

ISBN 978-99906-0-394-1
رقم الإيداع: (٢٠١٣/٣٢٥)

إنه منتصف الليل
يا دكتور شويتزر

تأليف: جيلبير سيسبرون

ترجمة: د. منتجب صقر

مراجعة: أ. د. أحمد شعبو

دراسة: أ. د. محمود المقداد

العنوان الأصلي للمسرحية

Il est minuit docteur Schweitzer



الفهرس

***





المراجعة والتحليل

أ. د. محمود المقداد

تبدو لنا هذه المسرحية ذات خصوصية متميزة، لأنها تتناول جزءا يسيرا من حياة رجل حقيقي في الواقع هو (د. ألبير شويتزر)، ولها أبعاد متعددة من حيث الشكل: فهي مسرحية واقعية ذات طابع توثيقي، كتبت ومثلت سنة ١٩٥١، ونشرت سنة ١٩٥٢، وقد حولت فيلما سينمائيا بالفرنسية في السنة نفسها وبالعنوان الفرنسي نفسه للمسرحية Il est minuit docteur Schweitzer، وأخرجت إذاعيا أيضا. كما أخرجت تلفزيا بالفرنسية سنة ١٩٦٢، وحولت أيضا فيلما إنجليزيا بالعنوان نفسه مترجما It is Midnight Dr. Schweitzer، وظهر هذا الفيلم بعد وفاة بطلها التي صادفت سنة ١٩٦٥. كما أخرج فيلم وثائقي بالإنجليزية عن حياة الدكتور ألبير شويتزر[1] الذي أصبح شخصية عالمية ونال (جائزة نوبل للسلام) عن سنة ١٩٥٢.

وكانت المسرحية أيضا تحتوي - من حيث المضمون - على أبعاد كثيرة: الأول البعد الإنساني، والثاني البعد الفلسفي، وكان الثالث دينيا. والرابع عاطفيا، والخامس إداريا - سياسيا - حربيا. وهي تتميز أيضا بانتمائها الواضح إلى المسرح الذهني أو مسرح الأفكار والقضايا، لا مسرح الحركة والأحداث والوقائع. كما أنها تنتمي إلى المسرح الواقعي الذي يكاد يكون وثائقيا.

---

(١) يكتب اسم الدكتور بالفرنسية (Albert Schweitzer) بزيادة حرف (t) على الرسم الألماني، وينطق في الألمانية (ألبيرت شفايتزر) أي: ألبيرت السويسري، وأما في الإنجليزية فينطق (ألبيرت شوايتزر)، وفي الفرنسية (ألبير شويتزر)، وقد التزمنا في هذا التحليل النطق الفرنسي من بينها.



ولما كانت المسرحية ترصد حياة رجل حقيقي في الواقع كان لا بد لنا من أن نعطي فكرة وافية عن شخصية هذا الرجل وموقعه في الثقافة الغربية:

١ - شخصية (الدكتور شويتزر) الواقعية

ولد (شويتزر) سنة ١٨٧٥ في قرية (غونسباخ) Günsbach التابعة لمدينة (قيصربرغ) Kayserberg في جبال الفوج بمقاطعة (الألزاس) شمال شرقي فرنسا، وقاعدة (الألزاس) هي مدينة (استراسبورغ) Strasbourg. وكانت هذه المقاطعة موضع تنازع بين الألمان والفرنسيين لتداخل سكانها من الطرفين. وكانت بيد الفرنسيين حتى ضمها المستشار الحديدي (بسمارك) Bismarck إلى ألمانيا إثر توحيدها وبعد أن هزم (نابليون الثالث) Napoléon III في حرب سنة ١٨٧٠ المشهورة. وعادت إلى حضن فرنسا سنة ١٩١٩ إثر هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، إلى أن استعادها (هتلر) A. Hitler سنة ١٩٤٠ في الحرب العالمية الثانية، ولما هُزِمت ألمانيا النازية عادت إلى الفرنسيين سنة ١٩٤٥. وكان أكثر سكان هذه المقاطعة يجيد اللغتين الفرنسية والألمانية معا نظرا للتشابك السكاني فيها. وكان (شويتزر) لذلك يتكلم لغته الألمانية بطلاقة ويتحدث بالفرنسية بلكنة ألمانية. وكان أبوه راعيا بروتستانيا لوثريا في الكنيسة.

ألف (شويتزر) في عشريناته كتبا عن الموسيقى (باخ) J. S. Bach الذي كان شديد الولع به. وعن السيد المسيح (عليه السلام)، وعن آلة الأورغ التي كان بارع العزف عليها. درس اللاهوت ونال درجة الدكتوراه فيه وأصبح راعيا في الكنيسة، كما نال درجة الدكتوراه أيضا في الفلسفة، وأصبح أستاذا في جامعة (استراسبورغ). ثم إنه درس الطب الخاص بالمناطق الإستوائية ليسافر إلى أفريقيا، ويضع نفسه طبيبا جراحا ومعالجا للأجسام من



أمراض النوم، والبرداء (الملاريا) المستوطن هناك، وليكون مبشرا يشفي النفوس من أسقامها الروحية والنفسية. تزوج من (هيلين برسلاو) Hélène Bresslau (١٨٧٩-١٩٥٧) سنة ١٩١٢، وسافرا معا في مارس (آذار) سنة ١٩١٣ - بمعونة جمعية باريس التبشيرية - بحرا من ميناء (بوردو) Bordeaux إلى قرية (لامبارينيه) Lambaréné الواقعة في وسط الأدغال الأفريقية الإستوائية على نهر (أوغويه) Ogooué في الغابون[١] التي استعمرها الفرنسيون منذ منتصف القرن ١٩. وابتنى فيها مع زوجته[٢] مشفاه المتواضع من أخشاب الغابات، كما ابتنى للناس حول المشفى مساكن من تلك الأخشاب أيضا. وكان مناخ تلك الغابات من أسوأ المناخات في العالم. ولكنه قرر أن يضحي بحياته هناك للعناية بشعب المنطقة الفقير والبدائي والمحروم الذي يعاني من أمراض وآفات كثيرة. كما كانت أغلبيته من القبائل الوثنية عموما.

ولما نشبت الحرب في أوروبا رسميا في ٢٨ يونيو (حزيران) سنة ١٩١٤، واشتركت فيها فرنسا ضد ألمانيا والنمسا- هنغاريا، اعتقلت السلطات الفرنسية الزوجين في ٢ أغسطس (آب) بتهمة أنهما من الرعايا الألمان، ثم أرسلتهما سنة ١٩١٧ إلى معتقل فرنسي في جبال (البيرينيه) Pyrénées في الجنوب، وبعودة (الألزاس) إلى فرنسا حصلا على الجنسية الفرنسية، وأقاما في (الألزاس) إلى سنة ١٩٢٤ التي عادا فيها إلى (لامبارينيه) ثانية، ووسع (شويتزر) مشفاه وطوره وأدخل فيه اختصاصات جديدة ومتنوعة.

(١) حين حل (د. شويتزر) في (لامبارينيه) كان عدد سكان (الغابون) نحو ١٥٠,٠٠٠ نسمة، وأصبح عددهم عند الاستقلال سنة ١٩٦٠ نحو ٥٠٠,٠٠٠ نسمة. وهم اليوم نحو ١,٥٠٠,٠٠٠. ومساحة البلاد نحو ربع مليون كيلو متر مربع.

(٢) خلافا للمسرحية التي تذكر سفره وحيدا تلك السنة إلى الغابون مخلفا زوجته وابنته الوحيدة (رينا) Rhena. التي ولدت أصلا فيما بعد، سنة ١٩١٩، وتوفيت سنة ٢٠٠٩.



وظل يمارس فيه الطب ويسافر إلى أوروبا والولايات المتحدة بين الحربين، وبعد الحرب الثانية، للمحاضرة بشأن فلسفته الأخلاقية التي طرحها في كتبه وكتاباته، وليعزف على الأورغ في المدن المختلفة لجمع الأموال وشراء الأدوية لمصلحة مشفاه.

منح (الدكتور شويتزر) سنة ١٩٥٣ (جائزة نوبل للسلام) N.P.P. عن سنة ١٩٥٢، تقديرا لجهوده في خدمة الإنسانية، ولمؤلفاته التي بلغت نحو ثلاثين كتابا. ولفلسفته الأخلاقية. ولمواقفه المعلنة المعادية - مع الفيلسوف البريطاني (برتراند راسل) B. Russell وصديقه الفيزيائي (ألبيرت أينشتاين) A. Einstein - للأسلحة النووية وسباق التسلح بين الدول العظمى الخارجة من الحرب الثانية منتصرة، كما كان يعارض إجراء التجارب على القنابل الهيدروجينية.

ومن خلال مسيرته الطويلة وأنشطته خلال تسعين سنة من العمر وصف (الدكتور شويتزر) بأنه لاهوتي بروتستانتي، وموسيقي، وفيلسوف، وطبيب نال جائزة (غوته) سنة ١٩٢٨، وجائزة نوبل لسنة ١٩٥٢، وكان كاتبا وأستاذا جامعيا ومحاضرا ومنظرا وناشط سلام. وهي في الواقع الأنشطة التي اشتهر بها.

وعندما توقف عن ممارسة الطب بحكم السن وتطور علوم الطب، ظل يشرف على إدارة مشفاه حتى وفاته سنة ١٩٦٥، وكان قد عهد إلى ابنته (رينا) بإدارة المشفى من بعده، وكان يتكون آنذاك من ٧٢ مبنى حديث الطراز، ويحتوي على ٦٠٠ سرير، ويشتمل على اختصاصات كثيرة ومختبرات. وتم دفنه عند ضريح زوجته في حديقة مشفاه.

أصبح (الدكتور شويتزر)، من خلال مراحل حياته وجهوده وتضحياته

وفلسفته، نموذجا للإنسان العظيم الذي حظي باحترام العالم كله في القرن العشرين، ولذا نجد الفرنسيين والألمان يتنازعون شرف انتمائه إليهم: الألمان لأنه ألماني الأصل، والفرنسيون لأنه مواطن فرنسي. أما الإنجليز والأمريكان فقد دخلوا على خط الاهتمام به لكونه شخصية كبيرة وبارزة: ولقد قامت حول شخصيته جمعيات أصدقاء وروابط في كثير من بلدان الغرب كبريطانيا، وفرنسا وألمانيا وسويسرا والولايات المتحدة وغيرها، وألفت عنه كتب، وأسست له مواقع إلكترونية للتعريف به وبأنشطته، وسميت باسمه مشاف، ومعاهد طبية وعلمية وبيئية. وشوارع لا مجال لسردها هنا.

وأما فلسفته الأخلاقية فتقوم على المبدأ الذي أطلق عليه (احترام الحياة) le respect de la vie بالفرنسية، وthe reverence for life بالإنجليزية، ويلخص هذه الفلسفة بقوله: (إن الإنسان يكون أخلاقيا فقط عندما يطيع الدافع القوي لإغاثة أي نوع من أنواع الحياة يكون قادرا على مساعدته، وعندما يحجم أيضا عن إلحاق الأذى بأي شيء حي): وهذا يعني المحافظة على حياة الإنسان بشتى الطرق، وحماية حياة الحيوان ومساعدته، والحفاظ على الحياة النباتية. مما جعله عند حماة البيئة أحد دعاة المحافظة على نقاء البيئة (تربة وماء وهواء). وهذا يذكرنا بدعوة النبي أتباعه منذ بداية دعوته إلى الحفاظ على الحياة بكل أشكالها وأنواعها، بل زاد على ذلك الحفاظ على العمران أيضا. ولعل (د. شويتزر) قرأ شيئا عن ذلك في الإسلام فادعاه لنفسه وحدثه بطريقته. كما كان من دعاة إعادة بناء الفكر على أساس الكرامة الحقيقية للإنسان. وذكرت بعض مواقع النباتيين أنه كان نباتيا vegetarian، غير أنه لم يكن ملتزما كليا بذلك إلا في السنوات الأخيرة من حياته، وذكروا أنه متأثر في ذلك بالفلسفة الهندية. ولعله كان



متأثرا بفلسفة أبي العلاء المعري شاعر العربية الكبير في هذا المجال أيضا. وأما الفلسفة الأخلاقية عموما فكانت صلب فلسفة أمير الشعراء أحمد شوقي التي يفسر بها نهوض المجتمعات أو انحطاطها، وخاصة الإسلامية حين أخذت بها أو تخلت عنها، كقوله على سبيل المثال:

صَلاحُ أمْرِكَ للأخلاقِ مَرْجِعُهُ   فقَوِّمِ النفْسَ بالأخلاقِ تَسْتَقِمِ

وقد ألف (رود) A.G. Rud، احد عمداء كلية التربية بجامعة ولاية واشنطن، كتابا عن (د. شويتزر) أداره حول القيمة التربوية لفلسفته بعنوان (تراث ألبيرت شوايتزر في التربية: احترام الحياة Albert Schweitzer›s Legacy for Education: reverence for life، وبين فيه أبعاد تلك الفلسفة، وذكر دعوته شعوب العالم إلى أن يتقبَّل بعضها بعضا ضمن إطار الوحدة مع وجود التنوع والاختلاف.

من أقواله المأثورة وهي كثيرة: (أي دين أو فلسفة لا يقومان على احترام الحياة لا يكونان دينا حقيقيا ولا فلسفة حقيقية)، و (إن أول ما يصنع الإنسانَ حقا إنما هو تعاطف الإنسان مع كل الكائنات)، و (ليست السعادة شيئا آخر سوى الصحة الجيدة والذاكرة السيئة).

٢ - تحليل المسرحية

كتبت المسرحية ومثلت - فيما يبدو - سنة ١٩٥١. ونشرت سنة ١٩٥٢، وهي السنة التي رشح فيها (د. شويتزر) لجائزة نوبل، وتسلمها في السنة التالية، ولا ندري إن كان لهذه المسرحية دور في ترشيحه لتلك الجائزة أو في نيلها، ولاسيما أن الفيلم الفرنسي المنقول عنها وبالعنوان نفسه أخرجه المخرج الفرنسي (أندريه هاغيه) A. Haguet سنة ١٩٥٢ أيضا.

تصور هذه المسرحية حياة (د. شويتزر) خلال أربع وعشرين ساعة فقط، تبدأ في منتصف ليلة يوم ١ أغسطس (آب) سنة ١٩١٤ عشية نشوب الحرب العالمية الأولى بين دول الحلفاء ودول المحور في أوروبا: عندما دخلت الممرضة المخلصة (ماري) Marie على الدكتور في مكتبه وهو منسجم في العزف على البيانو، لتنبهه إلى ضرورة الخلود إلى الراحة في هذا الهزيع المتأخر من الليل قائلة: (إنه منتصف الليل يا دكتور شويتزر!). وتنتهي في منتصف ليلة اليوم الثاني منه حين يحضر (لوبلان)[1] Leblanc لاعتقال الدكتور وهو يعزف أيضا مرددا عبارة (ماري) نفسها التي أصبحت عنوان المسرحية، ليذكره بحلول موعد هذا الاعتقال. ونرى في ذلك تحقيقا لشرط وحدة الزمان المثالية في المسرح عند (أرسطو) على الرغم من تعرض هذا التحديد لنقد لاذع من النقاد الغربيين فيما بعد. كما أن وحدة المكان، التي ألحقها بعض النقاد بوحدة الزمان، بعد أرسطو بقرون، جاءت أيضا نموذجية، لأن مكتب (د. شويتزر) في المشفى ضم كل الشخصيات تباعا، ودارت فيه كل الحوارات. أما وحدة العمل فكانت تتمثل بعمل الدكتور الروتيني: استقبال المرضى، والمعالجة، واستقبال الضيوف والزائرين، والعزف على البيانو والكتابة، وهي تكاد تكون فتاتا بسيطا لأحداث بسيطة مألوفة لا تحمل تشويقا بذاتها، لأن القضايا المطروحة في الحوار كانت هي الأهم في إثارة ذلك التشويق.

---

(١) يذكر (لوبلان) هذا في قائمة شخصيات المسرحية بصفة (موظف)، وفي سياقها يذكر على لسان الرائد (ليوفان) أنه (الحاكم المدني). وفي الفيلم الإنجليزي المقتبس من المسرحية نشاهد (لوبلان) بلباس (ضابط) عسكري. ويوصف أحيانا بصفة (المدير العام)، وسنذكره في تحليلنا ببعض هذه الصفات حسب الحاجة.

ومن المؤكد أن سيرة (د. شويتزر) وشهرته قد وصلتا إلى مسامع كاتب المسرحية (جيلبير سيسبرون) G. Cesbron، ولسنا متأكدين إن كانت بينهما صلات أو لقاءات، فقرر أن يحولها عملا أدبيا متمثلا في هذه المسرحية، حتى ينبه الناس إلى أمور كان من الصعب أن يتنبهوا إليها أو يلتفتوا إليها بأي وسيلة أخرى سوى الفن. ولعله أراد أن يرسم للرجل صورة تحتذى في الإيثار وإنكار الذات والتضحية في سبيل الآخرين. وعلى الرغم من ذلك فإن لنا رؤية خاصة لما ورد في المسرحية قد تختلف عن غاية (سيسبرون) في مسرحيته هذه.

نلاحظ أن المسرحية تعتمد على استعراض الأفكار والآراء والرؤى والفلسفات المختلفة لشخصياتها الخمس، وذلك في ظل الظروف السائدة في أوروبا والمستعمرات عشية إعلان الحرب العالمية الأولى في الساحة الأوروبية، ونلاحظ جملة من الأفكار بشأن (الرجل الأبيض) المستعمر في أفريقيا: فالمسرحية تقدم لنا صورة للتناقض ما بين (الرسمي) و(الشخصي)، وما بين (الصورة الكلية) و (الصورة الجزئية) في حياة الناس. إننا أمام صورة الاستعمار العسكري التقليدي ذي اليد الحديدية المغلفة بقفاز ناعم من الحرير، وأمام الوجه الاستعماري القبيح الذي ستره بقناع في غاية الجمال: فنحن نرى تداخلا عجيبا بين صورة هذا الاستعمار، وحركة التبشير الديني، ومظاهر الخدمة الإنسانية المختلفة التي تقدم لسكان المستعمرات، ومنها (الغابون) على سبيل المثال: هذا البلد الشاسع قليل السكان الذي تعج أرضه بالموارد والخيرات والثروات المختلفة (كالمعادن، والأخشاب، والبترول..)، غير أن شعبها يذوق الأمرين، ويعاني ويلات الفقر المدقع. والتخلف، والجهل، والحياة البدائية. والأمراض المستوطنة (وعلى رأسها



مرض الملاريا. ومرض النوم..)، وكلها أسباب وحجج للاستعمار الغربي الذي أعلن أنه جاء ليكافحها وينقل الناس إلى مستواه الحضاري. لأنه زعم أنه يحمل لهم رسالة حضارية. غير أنه خرج من الغابون بعد أكثر من مئة وعشرة أعوام تاركا البلاد في حال أسوأ مما كانت عليه عند قدومه. وأبرز القضايا التي نعثر عليها في أثناء هذه المسرحية:

١- قضية العنصرية: يظهر (د. شويتزر) فضل الأوروبيين على مشفاه بقوله لـ (ماري) ممرضته: (ماذا ستكون حالنا لولا أصدقائنا الأوروبيين!). يعني تلك التبرعات التي يجودون بها عليه حين يعزف لهم على الأورغ هناك. فترد عليه (ماري) قائلة: (الأحرى أن تقول: ماذا سيحل بهؤلاء (السود) لولانا!). وضمير (نا) هنا يعني أحد أمرين: الأول (نحن البيض) وهو المعنى العام الذي يمكن فهمه مقابل قولها (السود). والثاني المعنى الخاص (هي والدكتور معا). غير أن المعنى الأول أقوى وأعم. لأن طبيبا وممرضته لن يفلحا وحدهما في معالجة (السود) جميعا في القرية أو غاباتها. وهذه فلتة لسان تدل على نوع من التعالي على العرق الأسود، وهذه هي فكرة مركزية الحضارة الأوروبية والرجل الأبيض التي ظلت، ويبدو أنها لاتزال. تعشش في أذهان الذين يضربون على وتر التفوق العرقي للبيض على سائر الأعراق في العالم.. وهناك أمثلة أخرى منها وصف الدكتور السكان بالتوحش حين ذكر أنه عالج رجلا تحت تهديد مسلحين وأن العملية نجحت (وإلا ما كنا هنا).. وفي مرة من المرات قالت (ماري): (هذا البلد عديم الإنسانية) ووافقها الدكتور على ذلك. وعندما طلب (الأب شارل) المبشر الفرنسي الكاثوليكي إلى (ماري) أن تنسى خيبتها في الحب مع خطيبها الذي هجرها وأن تقسم قلبها (هنا) بين كل الناس الذين هم بحاجة إليها لتسلوه قالت: (لم آت

هنا من أجلهم!): فلم إذن تدعي خدمتهم والتضحية من أجلهم بعمرها وجهدها وهذا يكشف زيف العمل الإنساني الذي يدعيه بعض الغربيين في المستعمَرات. ولعل لاختيار المؤلف (سيسبرون) اسم (لوبلان) للضابط المدير العام، ومعناه بالفرنسية (الأبيض). دلالة عنصرية لاشعورية على تسلط البيض على السود.

٢- قضية السعادة: يتناول حوار الشخصيات، في بعض مشاهد المسرحية، مفهوم السعادة بالنقاش، فنرى الدكتور ينكر وجود السعادة، فترد عليه (ماري): (أنا أعتقد أن السعادة موجودة). فيقترح عليها أن تستبدل بكلمة (السعادة) كلمة (البهجة). لأنها أدق في دلالتها على الحالة النفسية التي يرضى فيها المرء عن نفسه وعن محيطه، لأن البهجة هي كل ما يبعث السرور في النفس. ولذا كان الدكتور مبتهجا بحضوره إلى أفريقيا السوداء - تاركا بيته وأسرته وتعليمه الجامعي وعزفه على الأورغ في الكنيسة والمدن الأوروبية الكبرى - بغيةَ خدمة المرضى المحتاجين إلى العلاج، ولبناء مساكن صحية للناس في القرية. والاهتمام بتوعيتهم وتعليمهم وهدايتهم، والعناية بإقامة مأوى للحيوانات المختلفة في جانب مشفاه. وقد سألت (ماري) مرة (الأب شارل): (هل تعتقد أنت أيضا بأننا ليس لنا الحق بالسعادة). فيجيبها بتصوير السعادة والإحساس بها قائلا: (السعادة.. تمر في موكب مهيب.. تنتظرينها طويلا. وفجأة يبدأ قلبك بالخفقان السريع.. ثم تمر.. السعادة لا ترى إلا بعد أن تمضي). وأخيرا يصل معها إلى القول: (ليس لدينا نفس التعريف لهذه النقطة يعني السعادة). والحقيقة أن مفهوم السعادة يخضع لقانون النسبية النفسية، أي أنه مفهوم هلامي أو مطاط لا يمكن الإجماع



على تعريف دقيق له بأي حال، ولكل إنسان فلسفته الخاصة في كيفية تحقيق السعادة.

٢- قضية تحرر أفريقيا من مستعمريها الأوروبيين: يشك الدكتور دبوسا على موقع قرية (لامبارينيه) في خريطة أفريقيا المعلقة على جدار مكتبه، فيفاجئنا (الأب شارل) بنبوءة بدأت تتحقق في ستينات القرن الماضي فصاعدا حين علّق على فعل الدكتور قوله: (هذه الشوكة المغروسة في هذا الجسم المتوحش الكبير الذي يبدو أنه سوف ينتصر لنفسه في النهاية). فيسأل الدكتور: (ولكن متى أب شارل.. متى.. هل سيرى ذلك أحفاد أحفادنا). وهذا نوع من الإقرار الضمني بما أنزل المستعمر الأوروبي الأبيض (الفرنسي والإنجليزي والألماني والبرتغالي والإسباني..) من ظلم وإجحاف بحق أهل المستعمرات في هذه القارة البكر التي امتص خيراتها وحرمهم منها.. لقد تحققت نبوءة الاستقلال. ولكن هل عادت خيرات البلدان المستقلة إلى أهلها أولم يترك المستعمرون شعوب تلك البلدان مهملة تواجه مصائر مجهولة ومتعددة: من التخلف والأمراض والفقر والجهل والحروب الأهلية الداخلية والحروب مع دول الجوار هل تغير شيء في الاستعمار سوى أنه وضع أقنعة تجميلية أكثر!.. ولما كانت تلك النبوءة - في سنة ١٩١٤ - أشبه بالمستحيل. قال الدكتور لـ (الأب شارل): (لو أن المدير العام وهو الضابط (لوبلان) سمعنا. لضحك كثيرا.. والرائد (ليوفان) Lieuvin وهو ضابط تحت إمرة المذكور، وشديد الحماسة لبناء الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية في أفريقيا والعالم أيضا..). وهذا دليل على أن رأي العسكريين في المستعمرات لا يقبل بهذه النبوءة.. بل لا يتصورها. بل إن تحرر شعوب أفريقيا حين تم بالاستقلال، إنما كان شكليا أكثر منه جوهريا، لأن النخب

العسكرية والمثقفة التي رباها هي التي حكمت بلدانها، وظلت على ولاء تام وتبعية لمستعمرها السابق. غير أننا نجد الرائد (ليوفان) في حوار له مع خطيبته (ماري) يحلل الحروب في المستعمرات مسوغا ذلك بأنها (أقامت ممالك ومدنا كاملة). ويقارنها بحروب الأوروبيين فيما بينهم فيراها فقط لـ (التدمير.. التدمير الكلي). ويتنبأ بما تنبأ به (الأب شارل) ولكن مع شديد الأسف منه على تحقق هذه النبوءة إن وقعت، وقد وقعت بالفعل بعد بضع سنوات من نهاية الحرب الثانية لا الأولى، وذلك حين يقول: (سيخسر المتورطون في الحرب مستعمراتهم عاجلا أو آجلا). ثم يضيف موضحا طبيعة الحرب بين الأوروبيين فيقول: (الحرب بين الأوروبيين هي حرب أهلية). وكأنما كان يتنبأ في هذه العبارة بقناعة الأوروبيين بأن مستقبلهم ومصيرهم في سلة واحدة، وأن مصلحتهم على هذا الكوكب واحدة في هذه الحياة. وما عليهم إلا أن يعيشوا معا أسرة واحدة، وقد تجسدت قناعتهم هذه في السوق الأوروبية المشتركة في الستينات، ثم طورت العلاقات إلى إعلان (الاتحاد الأوروبي) U.E. الحالي سنة ١٩٩٢ باتفاقية (ماستريشت) Maastricht وهي مدينة في هولندا. ثم توسع ليشمل دول أوروبا الشرقية التي كانت (شيوعية) أو (اشتراكية) من قبل.

٤- قضية الإيمان: تفاجأ (ماري) (الأب شارل) برأي خطير في أمر الدين حين قالت له: (إن دينك ضد كل شيء: ضد الحب. وضد الحرية. وضد المرأة. وضد الحياة). ثم تسأله: (أيكون الكمال بالحرمان من كل شيء؟). ونتوقع أن يكون هذا الرأي معبرا عن رأي الكاتب (سيسبرون) نفسه. لأنه كان يساريا في كل كتاباته التي كانت تصب في بحيرة التوجه المادي غالبا، وتكاد تنضوي تحت رغبات الماركسية التي ولت الأدبار في العقد الأخير



من القرن الماضي بعد نحو قرن من ظهورها، ويلخصها قول ماركس (الدين أفيون الشعوب). وهي دعوة تهدم الدولة، والمال. والاقتصاد. والأخلاق. والأسرة. والمرأة، والطفولة. والطبيعة البشرية معا. والأدلة لا تحصى.

٥- قضية الحب والتضحية: تطرح المسرحية قضية (الحب) هذه بوصفها علاقة إنسانية متميزة بين رجل وامرأة تزين الحياة وتجملها. ونجد (الأب شارل) يدعو (ماري) اليائسة من تجربة الحب الأولى التي مرت بها وأخفقت مع خطيبها في فرنسا حتى هربت منها إلى الغابون، يدعوها إلى ألا تفقد الأمل بحب جديد، قائلا لها إن ما ينقصها الآن هو الحب و (إن الأرواح الوحيدة والحزينة تلتقي حتى في آخر نقطة من العالم..). ثم نلاحظ أن المدير الضابط (لوبلان) كان يحبها ويتودد إليها. غير أنها لم تكن تطيقه، واعترفت له بحبها للرائد (ليوفان) الذي كان يسعى إلى خطب ودها. وهي تتعزز عليه. مع أنها في دخيلتها تسر بحضوره في كل زيارة إلى مكتب الدكتور. وفي سياق المسرحية تعترف له بحبها، ويلبسها خاتما كان بيده من عشرين سنة، غير أنه حين يقرر العودة إلى فرنسا للقتال هناك، تقرر هي - بعد اعتقال الدكتور - البقاء في المشفى لتكمل مسيرته ورسالته فيه متبنية فلسفة أقوى استلهمتها من عبارة منقوشة على ذلك الخاتم تقول: (بهجة الحياة تكمن في العمل). وهي أن الإخلاص في هذا العمل (أهم من الحب).. ويستنتج المرء من ذلك أن الحب في حياة الرجل أو المرأة يجعلهما أقدر على تحمل أعباء الحياة، كما يدفعهما إلى التضحية من أجل سعادة الآخرين.

٦- قضية الفكر والمعتقد: يتناقش الضابطان (لوبلان) و (ليوفان) في إحدى المرات بشأن كل من الفكر والمعتقد، فيقول (لوبلان): (أنا أحب فقط



أن يكون للإنسان معتقد، وأن يتمسك بهذا المعتقد). فيرد عليه (ليوفان): (أما أنا فلا أحبِّذ المعتقد.. وإنما الفكر). ويبدو في هذين الموقفين شيء من رؤية الكاتب (سيسبرون) التي تتصل بما رأيناه آنفا في مسألة الدين، وهو تفضيل (الفكر) على (المعتقد). لأنه يرى - فيما يبدو - أن (المعتقد) حبيس النص، يلتزم بحيز محدود من الأصول والمبادئ والتفاسير التي يقف عند حدودها ولا يبتعد عنها أو يتجاوزها. وهذا يعني الثبات والانغلاق، أما (الفكر) فإنه منفتح على كل اتجاه، ولا يحده حد. ولا يقف عند تفسير معين. ولا يلزم نفسه بقواعد ولا أصول ثابتة، وهو دائم التجدد. ولم يتنبه على ما في (المعتقد) من حفظ التوازن بين الأشياء في المجتمع البشري من خلال هذه الثوابت وتلك الأصول. تماما كما في الطبيعة نفسها من ثوابت: كقانون الجاذبية. ودوران الأرض حول نفسها. ثم حول الشمس. والفصول الأربعة والحرارة والبرودة، ولولا هذه القوانين الثابتة لفسدت الحياة تماما. ومع ذلك فإننا نستثني المعتقد الذي يكون خرافيا أو متقوقعا أو مضرا بعلاقة الإنسان مع الإنسان. لأنه شذوذ عن القاعدة. ويشكل خطرا. نظرا إلى ارتباط المعتقد بالمقدس غالبا.

٧- قضية العلاقة بين السياسي والعسكري: يطرح الضابطان هذه القضية من خلال إبرازهما العلاقة الصارمة جدا بين السياسي في (الوطن) والعسكري في (المستعمرات). وبيانهما أن القرار السياسي هناك مهيمن بشدة عليهما هنا في (الغابون). فللسياسيين سلطان مطلق على عسكريي المستعمرات. وهم يتحكمون فيهم بشراسة وحزم. على اختلاف التوجهات السياسية والحزبية الحاكمة في الوطن، والحقيقة أن الشراسة وحدها هي التي صنعت الإمبراطوريات الاستعمارية الكبرى الأخيرة في تاريخ البشرية.



تحقيقا لمصالح الطبقة الحاكمة التي تملك المال والثروة والصناعة والإعلام. حتى تزيد ثروتها وقوتها وهيمنتها. ولو على حساب دماء جنود أبناء وطنهم وضباطه الذين ربوهم على الطاعة العمياء. ولو كانت طاعتهم هذه تصب في معصية الخالق.. فالسياسيون يبصرون ويفكرون عن العسكريين ويدركون دونهم مصلحة الدولة والمواطنين في الوطن، ولذا قال الرائد (ليوفان) للضابط (لوبلان): (في عائلتي يتجاوز حب الخدمة موضوع الأحزاب). وقد نشأ نوع من الكراهية بين الطرفين عبر عنه هو نفسه بقوله: (أكره عسكريي المكاتب الذين هم مدنيون متنكرون بزي العرفاء). وأبدى تعاطفه مع أبناء المستعمرات فقال: (أكره من يقتل من بعيد). إشارة إلى أوامر القتل التي تصدر من عسكريي الوطن. وأضاف قوله: (أنا مع الطريدة ضد الصياد). غير أن الضابط (لوبلان) يعترض عليه بقوة قائلا: (ليست أفريقيا لا هبة من الله. وليست مغامرة.. هي مكان للعمل). أي أنه يقوم فقط بواجبه الذي كلف به لمصلحة من يصدر إليه الأوامر. ولم يأت إلى هنا مغامرا. ثم يكشف حقيقة رأيه هذا وهي خوفه من أن يفقد عمله أو كما يسميها (مهنته) حين قال: (لا أريد أن تتكسر مهنتي من بعيد بضربة سيف من السياسة). وفي الوقت نفسه ينقض ذلك بقوله عشية إعلان الحرب على ألمانيا: (بعض رجال السياسة قرروا التسلية مرة أخرى بلعبة الإمبراطوريات). أما الشعوب فهي وحدها التي تسحق وتدفع الثمن في إطار هذه التسلية. وأيد ذلك بقوله أيضا إنه لا يريد أن يفني حياته وروحه (في بناء إمبراطورية). غير أن رغبته هذه شيء والتزامه بطاعة الأوامر وتنفيذها شيء آخر. بدليل أنه حين أخبر الرائد (ليوفان) بإصدار سياسيي (باريس) إليه أمرا باعتقال الدكتور. حاول أن يدفعه إلى رفض تنفيذه إن كان يحترم أولئك السياسيين.



فرد عليه (لوبلان) قائلا: (لا يا ليوفان.. أنا من السلالة التي لا تحترم. ولكنها تطيع..).

٨- قضية احتلال الألمان إقليم (الألزاس): كان ذكر (الألزاس) موضع حساسية خاصة بين الألمان والفرنسيين، وفي حوار بين الضابطين يدور الموضوع حول هدف الفرنسيين من دخول الحرب وهو تحرير هذا الإقليم. وموقف باريس من (الدكتور شويتزر) الذي ولد في (الألزاس) بعد ضم (بسمارك) إياه إلى ألمانيا بخمس سنوات. ويحمل بالتالي جنسية ألمانية. بل يدين بالمذهب البروتستانتي اللوثري الذي يتبعه معظم الألمان. بخلاف فرنسيي (الألزاس) الذين يتبعون المذهب الكاثوليكي التابع لبابا الفاتيكان في (روما). وهو الغالب على الفرنسيين عموما. يقول (لوبلان): (لا تنس أن شويتزر من الألزاس. أي أنه أحد الرعايا الألمان). فيغضب (ليوفان) من هذا الإقرار بجنسية الدكتور وتبعية (الألزاس) لألمانيا فيقول إن الحرب الحالية التي أعلنت إنما هي (من أجل تحرير الألزاس فقط). ويسخر (لوبلان) من اختيار الدكتور أسوأ الأقاليم الأفريقية (أي الغابون) لخدمته الإنسانية، ويصفه ويصف أمثاله بقوله اللاذع: (هذه السلالة من الحمام لا تضع عشها إلا في أشجار التين الملعونة، وعندما تموت سوف تطلب من الله. كمكافأة لها. أن تبني بيوتها في الجحيم). وهذه كناية عن شعور الدكتور بالبهجة وسط الشقاء والعذاب. وحين يسأل (ليوفان) عن مصير الدكتور - إثر إعلان الحرب على ألمانيا - بوصفه ألمانيا يقيم عمله في مستعمرة فرنسية، يرد عليه (لوبلان) بعبارة يشتم منها سوء المصير يقول فيها: (على كل حال.. اللطافةُ ليست من سمات السياسة). وهكذا يتبين لنا أن خدمة الدكتور الإنسانية. ومسالمته. وتكلمه بالفرنسية ولو بلكنة ألمانية. وشعوره

الخاص بالانتماء إلى فرنسا. وحتى تمنيه انتصار فرنسا في الحرب. وما كان يذكره دوما من أن البروتستانت والكاثوليك كانوا يصلون معا أيام الآحاد في كنيسة قريته الوحيدة في انسجام وتسامح تامين. لن يشفع له - فيما يبدو - في عيون سلطات الاستعمار السياسية - العسكرية في كل من (باريس) و(الغابون). من سوء المصير المتوقع. وهذا يعني أن الحرب توقظ في الإنسان المتحضر غريزة التوحش التي كان عليها منذ آلاف مؤلفة من السنين وتنسيه جميع منجزات حضارته، ثم إن هذا الإنسان لا يعدم حجة أو ذريعة. وهو يحطم نفسه ويحطم غيره، لتسويغ هذه الردة إلى نزعة التوحش فيه.

٩- قضية التبشير في المستعمرات: تطرح المسرحية هذه القضية بوصفها رديفا للحركة العسكرية في تطويع أهل البلاد المستعمَرة روحيا. ونكتشف هذا التداخل بين الحركتين من خلال شخصية (الأب شارل) الذي كان، وهو ملازم في الجيش الفرنسي. زميلا للرائد (ليوفان) منذ عشرين عاما، ويفضح لنا (ليوفان) ماضيه الذي كان فيه مسرفا على نفسه في المعاصي والملذات، ويستغرب منه كيف انقلب بقدرة قادر إنسانا ورعا يبشر السود في الغابون بالخلاص، ويقول له: (أنت الضابط.. لست سوى قناص). فيرد عليه (الأب شارل): (قناص في سبيل الله). ويسخر منه (ليوفان) قائلا: (وهنا.. أنت تخيب أملي يا فيرييه [وهو الاسم الذي كان يعرف به في الخدمة].. كنت أعتقد أنك نصرت أقطارا بكاملها زارعا صليبك في كل مكان..). ثم يقول: (لقد أكد لي لوبلان - بالدليل القاطع - أنك من المبشرين الأقل حظا في تنصير الناس). وواضح من ذلك أن حركة التبشير هذه كانت تنشر لغة المستعمر وثقافته إلى جانب الدين لتطويع النفوس وتكوين كوادر نخبوية تكون معينا للمستعمر في السيطرة على جماهير الناس في بلادها، وفي



تسهيل عمله الإداري وتحقيق مصالحه. ثم يكشف لنا الحوار عن ثلاثة أساليب للتعامل مع أبناء المستعمرات عموما يتكامل بعضها مع بعض في تحقيق الهيمنة: الأول فرض الخشية أو الخوف، وهو أسلوب الضابط المدير (لوبلان). والثاني الاحترام. وهو أسلوب الرائد (ليوفان). والثالث الحب. وهو أسلوب (الأب شارل). ويؤيد هذا التكامل قول (ليوفان) لـ (الأب شارل): السود يعبدونك بمعنى يحبونك ويطيعونك ويبجلونك.. وكلمة واحدة منك تربطهم من جديد بفرنسا). وحين يرد عليه بقوله: (ليست هذه وظيفتي.. إنما وظيفتي ربطهم بالمسيح). يقول له (ليوفان) بصريح العبارة: (هذا نفس الشيء!..). فيوافقه (الأب شارل) على استنتاجه بشرط قائلا: (نعم.. أقبل لو أن فرنسا أتمت مهمتها، أما إذا كانت تبحث فقط عن تجنيد العساكر فإنني أرفض!..). وهذا رد لطيف منه يريد به أن يتنصَّل من دوره المحدد في ماكينة الاستعمار الفرنسي للشعوب. كما أن العبارة الأخيرة فيه تكشف لنا عن وسيلة خبيثة من وسائل المستعمر لفرض سيطرته على البلدان الكثيرة التي يستعمرها، وهي تجنيد عساكر من هذا البلد وإرساله بقيادة فرنسية للسيطرة على بلد آخر مستعمر: كإرسال جنود من السنغال والمغرب إلى سورية مثلا أو إلى فيتنام، وهكذا.. ويذكر التاريخ أن الإنجليز - مثلا - أتوا بخمس وعشرين فرقة هندية ليواجهوا بها الألمان والإيطاليين بقيادة (الماريشال رومل E. Rommel الألماني في (العلمين) بمصر وانتصروا بهم عليهم في أكتوبر (تشرين الأول)- نوفمبر (تشرين الثاني) من سنة ١٩٤٢. وجندت فرنسا عددا كبيرا من الجزائريين لتحرير باريس من النازيين سنة ١٩٤٥. حتى إن الرئيس الراحل (أحمد بن بلا) يشير في مذكراته إلى أنه قاتل الفاشيين في إيطاليا مع الحلفاء. وكل ذلك على أمل منح الجزائر استقلالها بعد انتصار الحلفاء، ولما لم يتم تنفيذ الوعد تظاهر ملايين

الجزائريين ضد الفرنسيين في بلدهم، فحصد الفرنسيون منهم خمسة وأربعين ألفا في يوم واحد، وسجل لنا التاريخ كيف قصف الفرنسيون مدينة (دمشق) في ثلاثة أيام ١٨-٢٠ أكتوبر (تشرين الأول) من سنة ١٩٢٥ ردا على الثورة السورية الكبرى ضده، حتى قال أمير الشعراء أحمد شوقي في ذلك القصف الوحشي للمدنيين قصيدته الشهيرة التي يقول في بعضها:

سلامٌ من صَبَا بَرَدَى أَرَقُّ ... ودمعٌ لا يُكَفْكَفُ يا دِمَشْقُ
وللمستعمرين وإن ألانوا ... قلوبٌ كالحجارة لا تَرِقُّ
دَمُ الثوارِ تعرفُهُ فرنسا ... وتعلَمُ أنه نورٌ وحقُّ
وللحريةِ الحمراءِ بابٌ ... بكلِّ يدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ

كما قصفوا ثانية في شهر (مايو) أيار من سنة ١٩٤٥ البرلمان السوري ودمشق وسائر المدن بلا رحمة ولا شفقة. ثم إننا نجد (الأب شارل) يقول: (أتكلم ببساطة كأم لهذه الشعوب الطفولية.. كأم تريد لأطفالها أن يساووها. وتقبل أن يتفوقوا عليها يوما ما.. إذا كانوا يستحقون ذلك). ويبدو لنا أن هذه الشعوب جميعها لم تستحق ذلك لا في ظل الاستعمار ولا بعد نيلها استقلالها الظاهري عنه، لأننا لا نملك مثالا واحدا على مساواة دولة كانت مستعمَرة للدولة التي كانت تستعمرها، ولا نموذجا واحدا على تفوق دولة مستعمرة على دولة كانت تستعمرها على وجه الدقة واليقين. وإن وجدنا مثالا أو نموذجا ما. فإنما يعود الفضل في المساواة أو التفوق إلى جهود أبناء تلك الدولة وتضحياتهم وجدهم وتعبهم بعد تخلصهم من مستعمريهم: كالصين، وماليزيا وغيرهما.



١٠- قضية الخوف والموت زمن الحرب: يتم طرح هذه القضية في المسرحية إثر إعلان الحرب في أوروبا وإعلان الاستنفار الأمني في المستعمرات، وذلك حينما سعى الضابط (لوبلان) إلى تخصيص حراسة للدكتور في المشفى، ولـ (الأب شارل) في معبده، وليكون في رفقتهما حراس أثناء تنقلاتهما، غير أن الرجلين يرفضان بشدة أي حماية، لأن هذه الحراسة ضد السكان الأصليين تتناقض مع طبيعة عمل الدكتور الإنساني ورسالته في خدمة هؤلاء السكان وأن أحدا لن يفكر في إيذائه، كما أنها تتنافى مع طبيعة عمل (الأب شارل) في نشر المحبة والإخاء والسمو الروحاني بين السكان، إضافة إلى أنها تعد مثارا للريبة والشك في أمر الرجلين، وكلاهما يسلم أمره لله إن جرى له شيء. لأنهما سيكونان عند الله من الشهداء المظلومين، وهذا يرضيهما في سبيل عملهما. فينكر (لوبلان) سلبيتهما هذه. ويقول للدكتور: (يا دكتور شويتزر. تقديم الخد الأيسر بعد الخد الأيمن ليس حكمة متوافقة مع الاحتلال الاستيطاني..)، وهنا تتأكد لنا الحقيقة الاستعمارية وريبة العسكريين في سكان المستعمرات، فهناك دوما - في رأيه - وطنيون لا يرتاحون للمستعمر، ويسعون إلى حرية بلادهم واستقلالها، ويطلق (لوبلان) عليهم اسم (المتعصبين) كما يفعل أي نوع من أنواع الاستعمار حين يصف أعداءه بما يشوه صورتهم ويسلبهم ما هم عليه من الحق. ثم إنه يغضب منهما ويلوم نفسه لخوفه عليهما ويقول لهما ولمن هم على شاكلتهما: (أنتم عبارة عن رعاة لا يؤمنون بوجود الذئب. وأنا الكلب الذي ينبح وأنتم تسكتونه.. سحقا لنعاجكم إذن!..). فيؤكد الدكتور موقفه بقوله: (بين الكلب والذئب هناك الإنسان.. وأنا أومن بالإنسان!..). وكذلك يفعل (الأب شارل) حين يقول: (مكان عبادتي مفتوح ليلا ونهارا منذ سنين!..). ويضيف قوله:



(موتنا هو الشيء الوحيد الذي يخصنا.. فدعه لنا!..). ثم يبدي استعداده ليقدم روحه فداء للدكتور، فيرد عليه الدكتور: (لا تفتح هذا الموضوع مرة أخرى.. فأنت نافع مثلي!..). فيعلق (لوبلان) على ذلك قوله: (لقد سخرتما من اقتراحي للتو.. وأنا الآن أسخر من تجارتكما هذه مع السماء..). بمعنى أن طرحه كان واقعيا تماما بعقلية الجندي المتمرس. أما طرحهما فهو مثالي لا يصلح أن يكون على وجه الأرض: فقد انتهى الأمر باغتيال مجهولين في الغابة لـ (الأب شارل) قرب مكان عبادته.

١١- قضية علاقة الإنسان بالإنسان والخالق بالإنسان: يبدي كل من (لوبلان) والدكتور و (الأب شارل) رأيا في هذه العلاقة، فيقول (لوبلان): (أنا مع مبدأ: كل شخص لنفسه والله للجميع). والشق الأول يدل على الفردية المتضخمة والأنانية المستعصية عنده. والشق الثاني صحيح تماما. ويتفق - كما سنرى - مع رأي رجل الكنيسة. ويقول الدكتور: (على العكس تماما: كل شخص للجميع واللهُ لنفسه). والشق الأول. هنا. يدل على وجوب أن يقدم الفرد كل ما يستطيع من تضحيات للآخرين من غير انتظار شيء منهم. أما الشق الآخر فغير مستقيم مع مفهوم الخالق الذي يكون لكل عباده بغض النظر عن إيمانهم أو كفرهم به. ولكن (الأب شارل) يقول: (لا يا شويتزر: الكل للكل والله للكل). والشقان هنا هما الحالة المثالية للعلاقة بين الإنسان والإنسان وبين الخالق والإنسان. وهكذا يتطابق كل مبدأ مع طبيعة صاحبه وشخصيته وفلسفته في الحياة تطابقا تاما. ثم يتطرق الحديث إلى علاقة الإنسان وحده بالإنسان. بغض النظر عن وجود الخالق أو عدمه، فيما يسمى بـ (النزعة الإنسانياتية) l'humanisme. التي ترد كل منجزات الحضارة والآداب والفنون.. إلى جهد الإنسان وحده. وهذا ما تبينه عبارة الدكتور

حين يقول: (على كل حال.. سواء وجد الله أم لم يوجد. فإن وجه الإنسان الذي يتألم هو نفسه.. وهو يعصر قلبي.. ويعصر قلبي أيضا اللباس الأسود لطفل يتيم. والعيون المنتفخة لعامل يخرج من المعمل ويلقي بجسمه المتعب على رصيف محطة القطار كحقيبة الأشياء..). ويبدو لنا أن نظرة الدكتور هنا متطابقة مع الفلسفة الأخلاقية لـ (الدكتور ألبير شويتزر) الحقيقي، ومع توجهات كاتب المسرحية (سيسبرون) في مجمل أعماله الروائية: فالإنسان ينبغي أن ينظر إلى الإنسان بنفسه وذاته بغض النظر عن أي شيء آخر، وأن يسعى إلى مواساته، ورفع معاناته، وتخليصه من آلامه. ومعاملته باحترام كما يحب من الآخر أن يعامله، وأن يحترم حياته. ويخاطب الدكتور الضابطَ (لوبلان) كاشفا هذه النزعة الإنسانياتية بقوله: (آه يا لوبلان كم أتألم للناس الذين لا يمتلكون الدفاع عن أنفسهم!..).

١٢- قضية العبودية: يطرح (الأب شارل) على (لوبلان) سؤالا يتعلق بهذه القضية فيقول: (هل تعتقد أن العبودية التي ألغيناها ستنتهي في هذا البلد؟ أنت تتخلص منها كل يوم، ومع ذلك تظهر بشكل جديد!..). إنه سؤال خطير جدا وجوهري في تاريخ البشرية في مرحلة تحضرها المزعوم على الأقل. وذلك لأن الرق كان أصلا من صناعة البشر. لأن أمهاتهم ولدتهم أحرارا في الأصل فوجد بعضهم مصلحة له في ضرب الرق على غيره لتسخيره لمآربه، فنشأ نظام العبودية، وكان من الأنظمة التي أضفت المجتمعات عليها نوعا من الشرعية المعترف بها، وجاء الإسلام مثلا ليجعله يتلاشى تلقائيا مع مرور الزمن، إلا أن الغربيين إثر الثورة الفرنسية وعلى مدى نحو قرن تقريبا أصدروا جملة تشريعات تلغي الرق وتحرمه رسميا، وتجرمه قانونا، بدءا من سنة ١٧٩٢. وتبعتهم في ذلك دول أخرى. إلا أن



العبودية أخذت أشكالا جديدة كثيرة ومتنوعة: كعبودية الاستعمار. وعبودية رأس المال. وعبودية العنصرية. وعبودية التمييز العرقي. وعبودية الطبقات. وعبودية الرجل للمرأة. وعبودية رب العمل. وعبودية الإقطاعي. وعبودية البلطجية والفتوات، إلى غير ذلك، وصارت العبودية الجديدة لا عبودية ملك. ولكن عبودية تحكم وقهر واضطهاد وتسخير. وسرقة عرق العمال. وقمع الفلاحين. واحتقار السود. ونهب ثروات الشعوب. وفساد الحكام. إلخ. ولاتزال هذه الأنواع من العبودية الجديدة قائمة وتجدد شكلها وتبدل جلدها في كل حين. وكأن الإنسان لا تزال فيه رغبة استعباد الآخر. ولكن برضاه هذه المرة إن لم يكن غصبا عنه. ونحن نقول إن ما وضعه المؤلف (سيسبرون) على لسان (الأب شارل) بهذا الخصوص صحيح مئة بالمئة. ثم يؤكد هذه الحقيقة على لسان الدكتور الذي يقول: (سيد لوبلان أنت تناضل ضد العبودية، وضد الفوضى، وضد الوباء: في حين أن كل هذه الأمور بدأت من جديد !..).

١٣- قضية انكسار الأحلام: عندما أعلنت الحرب في الساحة الأوروبية في يوم ٢٨ من تموز سنة ١٩١٤ رسميا من قبل النمسا - هنغاريا على الصرب، وأخذت سلسلة (الدومينو) في السقوط وراءها سريعا، بدأت الانكسارات تصيب أحلام كل من الراعي الروحي والراعي الصحي في (لامبارينيه) مكان المسرحية: كان الانكسار الأول يتمثل في اغتيال (الأب شارل) وهو قريب من مكان عبادته قبل منتصف الليل وهو عائد من مكتب الدكتور على يد مجاهيل من السود. وكانت كل التعابير التي سبقت هذا الانكسار الفظيع توحي بإمكان وقوعه، فقد قال (الأب شارل) للدكتور قبل خروجه: (أنا حزين على فراقك. أشعر بأن شيئا مهما سيتوقف!..). فرد



عليه الدكتور قائلا: (يمكن أن يكون (هنا) المكان الأخير واللحظة الأخيرة التي يستطيع فيها ألزاسي وفرنسي التحدث فيه بأخوة..). ثم يضيف: (كأنك تتركني وحيدا وتهجرني !..). فيرد عليه (الأب شارل) بقوله: (الله مع كل خلقه..). وكان الانكسار الثاني ما نقل إلى الدكتور من خبر قيام سكان أحد المنازل، التي بناها الدكتور للأهالي (تصميما وتخطيطا وتنفيذا). بنهب مخزن الأدوية والأغذية المخصصة للمرضى في المشفى، علما أنه يعاني من شحها بسبب الحرب. فشعر الدكتور بطعنة شديدة في صميم القلب، وقال بمرارة: (لقد تخليت عن الموسيقى، والتعليم، تخليت عن كل ما أحب، وأدرت ظهري للحياة، لأصل إلى هنا.. وها هم يسرقون مؤونة المشفى.. آه كم أحن إلى مدينتي غونسباخ !.. ولظل شجرة النعناع.. ولأصدقاء المساء.. هيلين.. يا صغيرتي!..). إنها نفثة إنسان محبط قوبل معروفه بالجحود. وجوزي على تضحيته بالنكران.. ولسان حاله يقول: وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.. لقد عقوه وغدروا به وجوزي منهم كما جوزي سنمار من قبل.. وبدا الندم على محياه وهو يقول: (كنت أفكر بأن أتوسع في هذا البلد العاق حيث يسير كل شيء إلى الوراء). فتواسيه الممرضة (ماري) معممة حكمها. بالسير إلى الوراء. على البشرية كلها التي دخلت الحرب، فتقول: (إنها الأرض بأسرها.. هذا البلد العاق الذي يسير دائما نحو الخلف!..). وكان الانكسار الثالث حين عطل مشروع الدكتور بتنفيذ أمر اعتقاله لمجرد كونه يحمل الجنسية الألمانية، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على عدم اكتراث سلطات الاستعمار بالعمل الإنساني في المستعمرات أو بأبناء البلاد الأصليين. ولذلك قال الدكتور للضابط (لوبلان) حين جاء نحو منتصف الليل ليبلغه بأمر اعتقاله: (سيد لوبلان.. أنت لا توقفني.



وإنما تطلق البرص. والنعاس. والملاريا..). في إشارة إلى أن هذه الأمراض سوف تمرح وتسرح وتنتشر بعد توقف عمله في مكافحتها بين السكان، فيرد عليه (لوبلان) بعقلية العسكري الذي لا يعرف إلا تنفيذ الأوامر ولا دخل له بنتائجها أيا ما كانت. فيقول عن السكان الذين يتخوف عليهم الدكتور إنهم (لم يحتاجوا الأطباء منذ قرون خلت!..). أي: فليستمروا على ما هم عليه. ناسيا المسؤولية الأخلاقية المترتبة على عاتق المستعمر تجاه السكان، وهذا دليل على حقيقة المستعمِر الذي لا تهمه سوى مصالحه المادية. ويرسم الدكتور بعد ذلك الصورة المستقبلية التي يتوقعها من بعد توقف مشروعه، فيقول: (المقبرة.. إنها الشيء الوحيد الذي سيمكن التعرف عليه عندما ستلتهم دودة الأرض مستشفاي.. وعندما ستمسح الغابة بأكملها..). ويعني بذلك زوال المشفى تدريجيا لأنه مبني من الخشب، وكثرة الموتى، وأخيرا قضاء المستعمِر على الغابات في البلاد بقطع أشجارها ونقل خشبها الثمين إلى بلاده لتصنيعها لفائدته هناك.

١٤- قضية الفلسفة الأخلاقية: يخلص (سيسبرون) كاتب المسرحية بعد ذلك إلى عرضٍ موجز جدا لنظرية (الدكتور شويتزر) الحقيقي في الواقع، وهي تلك الفلسفة الأخلاقية التي شهرته في العالم الغربي، وشرحها في كتبه وبحوثه ومقالاته ومحاضراته، ونال عليها - كما ذكرنا من قبل -جائزة نوبل للسلام عن سنة ١٩٥٢. فيقول على لسان الدكتور الذي يخاطب الرائد (ليوفان): (يجب أن نهتم بالإنسان والمبادئ التي لا يمكن للحرب أن تغير شيئا فيها.. أنت مهووس بالتدمير الذي يقرع الأبواب، وأنا بفكرة إعادة الإعمار التي ستتبعه: إعادة الإعمار سوف تقوم على مبدأ احترام الحياة: الحفاظ على الحياة وتحسينها، وأن نرتقي بها إلى أعلى قيمة لها، هذا هو



الخير.. أما تدمير الحياة والإضرار بها وإخضاعها للعذاب والألم فهذا هو الشر: مسؤولية كل واحد منا تجاه الآخرين مسؤولية كاملة سيدي الرائد... وسنسأل عندها عن ذبابة سحقناها استجابة لنزواتنا. كما نسأل عن فرقة كاملة من الجنود هلكت..). هذه هي الفلسفة التي سادت حقا عند الأوروبيين الغربيين عموما بعد الحرب العالمية الثانية حتى الآن، ولكن فيما بينهم، أما خارج نطاقهم فلا، وقد رد (ليوفان) على فلسفته هذه بنوع من السخرية قائلا: (أنت لطيف يا دكتور!.. أود الاعتقاد أن الناس اللطفاء سيملكون الأرض يوما ما.. ولكن ليس الآن !..).

١٥- قضية انبعاث الأمل من قلب اليأس: يتناول المؤلف في ختام مسرحيته قضية اليأس الذي هيمن على نهايات الحلم الشويتزري. باستعمال رمز مهم هو (المصباح) أو (الفانوس) الذي يرشد القادمين عبر النهر ليلا من بعيد إلى المشفى، حين يقول الدكتور للضابط (لوبلان): (هل تريد أن تأخذه أنت الذي يحق له إطفاء هذا المصباح الآن..). ويعني بذلك إطفاء الروح الإنسانية في المكان، فيرد عليه بقوله: (هذا صحيح!..). ثم يخرج ويعود بالمصباح وهو مضيء ويقوم بإطفائه. ثم يعلن للدكتور حلول موعد اعتقاله وهو يعزف على البيانو ناطقا بذات العبارة التي قالتها (ماري) له في منتصف الليلة السابقة مع الفارق: (إنه منتصف الليل يا دكتور شويتزر!..). غير أن الممرضة (ماري). وقد اكتسبت من الدكتور خبرة في معالجة كثير من الأمراض، تقرأ على خاتم خطوبتها الذي قدمه الرائد (ليوفان) نقشا يقول: (بهجة الحياة تكمن في العمل). فتقرر ألا تلتحق بخطيبها الذي قرر العودة إلى فرنسا ليحارب ألمانيا مع الجيوش الفرنسية، لتبقى حاملة مشعل رسالة الدكتور الإنسانية، رافعة شعار (الإخلاص أهم من الحب).



أي الإخلاص للعمل والمهنة والتضحية من أجلهما والتفاني فيهما أهم من الحب، لأن شعور الإنسان بإنسانيته الحقيقية إنما يكون بقدر ما يقدم من خير ونفع للآخرين، من خلال العمل. وبذلك أصبح أمر إعادة إشعال المصباح أمرا واقعا على عاتق (ماري) هذه من غير أن يقدر أحد على منعها منه. وهذه النهاية تذكرنا بالنهايات الشكسبيرية حتى في أكثر المسرحيات المأسوية قسوة. لأن شكسبير لم يكن يريد للحياة أن تتوقف بعد أن يصاب بطله أو أبطاله بالموت.. وإنما كان يريد لها الاستمرار دوما.

أ. د. محمود المقداد

دمشق: الخميس ٢٠١٣/٣/٧

(إنه منتصف الليل يا دكتور شويتزر)

جيلبير سيسبرون

ترجمة د. منتجب صقر

المقدمة:

ولد جيلبير سيسبرون في باريس في ١٣ يناير (كانون الثاني) ١٩١٣ وتخرج في مدرسة العلوم السياسية. في العام ١٩٤٣ أصدر ديوانا شعريا عنوانه «السيل». أما روايته الأولى «أبرياء باريس» فقد حازت جائزة غيلد (لوزان ١٩٤٤). ازداد شهرة بعد صدور مسرحيته «سِجُننا مملكة» في العام ١٩٤٨التي حازت جائزة سانت . بوف، ومسرحيته «إنه منتصف الليل يا دكتور شويتزر» في العام ١٩٥٠.

يعد جيلبير سيسبرون روائيا، مفكرا وكاتب دراما، تطرق إلى مواضيع معاصرة في أعماله فقد تعرض للكهنة والعمال في مسرحيته «القديسون يذهبون إلى الجحيم» في العام ١٩٥٢، وإلى مشاكل الجنوح لدى الشباب في مسرحيته «الكلاب الضائعة بدون طوق» في العام ١٩٥٤، ولمسألة الموت الاختياري في مسرحيته «الوقت أبكر مما تظن»، وإلى العنف في مسرحيته «بين الكلاب والذئاب» عام ١٩٦٢، إلخ...

منح جائزة أونغهاين الأولى للكتابات المسرحية في العام ١٩٦٥ عن مسرحيته «لوثر مع الملاك» وفي العام ١٩٥٧ حاز جائزة أونغهاين الثانية على كتابه «الرجل الوحيد».

ملخص مسرحية «إنه منتصف الليل يا دكتور شويتزر»

في مشفى قديم في الغابون، في منتصف الغابة، يعزف رجل على البيانو. يقاطعه صوت قائلا: «إنه منتصف الليل يا دكتور شويتزر». تذكره مساعدته ماري بضرورة الراحة. يسمع صوت قرع طبول يصدر من الغابة.



هذا ليس ملخصا للمسرحية!!!

تجري هذه الأحداث في الأول من أغسطس (آب) ١٩١٤ حيث تظهر الحرب والحب والموت على المسرح. بالإضافة إلى الدكتور شويتزر هناك شخصيات رئيسية في هذه المأساة تشبه لايوتي والمبشر الأب فوكو[1]، وهي تصل في فضاء يومين إلى نهاية دراماتيكية أكثر منها تاريخية.

اعمال جيلبير سيسبرون

روايات:

أبرياء باريس (جائزة غيلد للكتاب لوزان) (١٩٤٤).

نظن أننا نحلم.

تراث فونتكيرني (جائزة القراء ١٩٤٧).

سجننا مملكة (جائزة سان بوف ١٩٤٨).

السيدة الحرة.

القديسون يذهبون إلى الجحيم.

كلاب ضائعة بدون أطواق (جائزة بيزاك، وارسو ١٩٥٨).

سترون السماء مفتوحة.

كان كائنا.

الوقت متأخر أكثر مما تظن.

بين الكلاب والذئاب.

---

(1) ولد الأب شارل - اوجين فوكو في ستراسبورغ (1858 - 1916). وهو مبشر ومنقب فرنسي - قام بأول رحلة كضابط مستكشف إلى المغرب، متنكرا في هيئة رجل دين يهودي. ونراه يترك الجيش ويتحول إلى الكنيسة (عام 1886)، فيدخل في رهبنة «اللاترابيين»، وهي أخوية ذات قواعد صارمة جدا، ومركزها في Notre-Dame-des-Neiges في منطقة الأرداش. ثم كانت له محطات كمبشر في فلسطين وسورية والجزائر. تمت سيامته كراهب في العام 1901، واصبح مبشرا ناسكا في الصحراء Sahara، وقتله متشددون من عائلة السنوسي. له مؤلفات عديدة مثل: نهضة المغرب (1888)، وقواعد ومعجم لغة الطوارق،...N.B.: من الواضح أنه ليس ثمة علاقة بين الأب فوكو Le Père de Foucauld والفيلسوف ميشيل فوكو M. Foucault الذي ولد في بواتيه العام 1926؛

نحلة مقابل الزجاج.

إنه موزار الذي اغتيل.

كتابات سردية:

الصياد الملعون.

هذا القرن يطلب النجدة.

حرروا بارباس.

الحارس الذي ينتظر الفجر.

مسرح:

«إنه منتصف الليل يا دكتور شويتزر» يتبعها «اكسر التمثال».

«الرجل الوحيد» يتبعها «فيدر في كولومبيا» و «الفصل الأخير» حازت هذه المسرحية جائزة أونغنهاين الأولى للكتابات المسرحية عام ١٩٥٧.

قصص:

ترجمة الهواء

كل شيء ينام وأنا أسهر

أعمال متفرقة:

جريدة بدون تاريخ (جزء ١).

جريدة بدون تاريخ (جزء ٢).

يكفي أن نحب.

السيل (شعر) (دار نشر كوريا).

صغار الرجال (دار نشر كلير فونتين).

رسالة مفتوحة إلى فتاة ميتة (دار نشر كلير فونتين).

نشرت باقي الأعمال في دار نشر روبير لافون

إلى كلودي في تلك الليلة هذه الأرواح المشتركة



الشخصيات

- دكتور ألبير شويتزر، ٤٠ عاما (جان مارشا).
- الأب شارل، ٤٢ عاما (جان فيلار).
- الضابط ليوفان، ٤٠ عاما (رايموند رولو).
- الموظف لوبلان، ٣٨ عاما (جان دافي).
- الآنسة ماري، ٣٢ عاما (رونيه فور).

عرضت هذه المسرحية للمرة الأولى في المسرح الوطني في مدينة كولمار تحت إشراف أندريه كلافيه، ومثلت للمرة الأولى في باريس على مسرح لاتينيه - لوي جوفيه في الثاني من أبريل (نيسان) في العام ١٩٥١.
تجري جميع أحداث هذه المسرحية في مكتب الدكتور شويتزر في مشفى لامبارينيه (الغابون)، في أغسطس (آب) في العام ١٩١٤. أثناء العرض يمكن حذف الجمل الموضوعة بين قوسين.



الفصل الأول

مكتب الدكتور شويتزر. غرفة ذات ديكور بدائي، مضاءة بثلاثة مصابيح موضوعة على الأثاث.

في مؤخرة الخشبة هناك باب له واجهتان زجاجيتان وهو يطل على شرفة تطل بدورها على الكواليس. في اليمين هناك باب ثان يتضح أنه يطل على مكتب الدكتور شويتزر. بين باب الجهة اليمنى والباب الزجاجي توجد طاولة الدكتور شويتزر التي تتكدس عليها الكتب والأشياء وعلبة صغيرة للأدوية.

إلى اليسار يوجد مكتبة يبدو أنها مصنوعة من خشب الصناديق، بين المكتبة والباب الخلفي يوجد البيانو ذو الدواسات الذي يعود للدكتور شويتزر.

كراسي، منحوتتان، مفكرة جدارية وإلى اليسار خريطة للقارة الأفريقية.

هناك مخطط للكتل الثلاثين المكونة للمشفى مثبت على الجدار أعلى الطاولة.

عندما يرفع الستار، يبدو شويتزر وحيدا على خشبة المسرح أمام البيانو ويعزف مقطوعة لباخ.

في أثناء الفصل نسمع زقزقة عصافير، أصوات الدواب، وصرخات غريبة. أمام الجمهور، على الشخصيات إظهار انزعاجها من الحرارة المرتفعة في الليل.



المشهد الأول

شويتزر - ماري

(يعزف شويتزر لبرهة قصيرة مديرا ظهره للجمهور. يلبس قميصا وبنطالا أبيضين. ترتدي ماري لباس ممرضة، تدخل من باب الجهة اليمنى وفي يدها رزمة رسائل. ماري جميلة ولكن جمالها يبدو مثيرا للشفقة كجمال الورود التي أرهقتها الشمس. تقترب ماري من البيانو، تستمع قليلا ثم تقول):

ماري : إنه منتصف الليل يا دكتور شويتزر!

شويتزر : يرتعد قليلا. يلتفت إليها، يحييها برأسه ويعزف بعض العلامات الموسيقية، ثم يقول من دون أن يستدير: ساعتي تشير إلى السادسة آنسة ماري، في هذه اللحظة تقرع أجراس كنيسة كونسباخ دقة التبشير (الحزينة) وحفيدتي تتقلب في نومها: يمر ملاك...

ماري : (بحزم)
هنا الوقت هو منتصف الليل ويجب أن تنام.

شويتزر : (ينهض)
حسنا ولكن، كما تغيب الشمس في مكان تسهر في مكان آخر. (يعود ويجلس ثم يسأل فجأة بصوت قلق هل حقا هو منتصف الليل؟ حقا؟ (يعزف مقطع لباخ. ماري تستمع بتمعن وتؤشر بنعم).

ماري : نعم



شويتزر : (يتوقف، يستدير على محور الكرسي ويتجه باتجاه الجمهور، ينظر إلى يديه ويقول بصوت منخفض):
إنهما يدا حطاب.... يدا نجار.

ماري : بل إنهما يدا جراح.

شويتزر : (كما لو أنه لم يسمع شيئا)
على كل حال فهي ليست يدي عازف الإرغنون!

ماري : (فجأة)
وأنا؟ هل ما زال لدي وجه على الأقل؟

شويتزر : (مندهشا)
ولكن...

ماري : (بصوت منخفض، وخافضة رأسها).
وجه امرأة....

شويتزر : (ينهض فجأة)
هل أنت نادمة!

ماري : (بحيوية)
لا!

شويتزر : (يمشي غاضبا)
هل أنت نادمة على قرارك، على سفرك. يجب أن تعودي إلى أوروبا آنسة ماري. أجل. أجل. لن أضيع دقيقة واحدة من وقت أي شخص.

ماري : دكتور، أؤكد لك...
شويتزر (يتابع وكأنما يحدث نفسه)



ثمن الدقيقة الواحدة ليس نفسه لكل شخص، فالمتسول الذي سيموت غدا وقته أغلى بألف مرة من وقتي.

ماري : ولكنه لا يدرك هذا الشيء.

شويتزر : ولا أنا! أن وقت الآخرين، كل الآخرين، مقدس! عديني آنسة ماري إذا كان صحيحا أن...

ماري : وقتك أيضا مقدس... تجاوزنا منتصف الليل.

شويتزر (يتردد للحظة، ثم يبتسم):

أعطني ست مقاطع أخرى لباخ فهذه طريقة لإيقاف الزمن!

(يعزف مجددا وبعد برهة يسمع قرع طبول من بعيد، ماري التي سمعت الصوت قبل الدكتور تفتح الباب، يسمع قرع الطبول بشكل أوضح. يتوقف شويتزر عن العزف ينخفض، يسمع ويترجم)

شويتزر : طفل... طفل مريض (يتوقف قرع الطبل) طفل مريض ولكن لم أسمع بداية الرسالة، انظري، يجب أن نبقى يقظين، سيحضر بعض الأشخاص (ينظر إليها بصمت لبرهة ثم يقول بهدوء لست سعيدة هذا المساء (صمت مفاجئ) هيا إلى العمل! (تعاود ماري فتح الرسائل التي وضعتها على المكتب. يتجه شويتزر نحو الطاولة ويتناول إبريقا وكأسا).

أتريدين شرب عصير الفواكه؟



ماري : كلا، شكرا (يجلس شويتزر ويضع الإبريق والكأس على المكتب. تفتح ماري الرسائل وتقرأها) جامعة ستراسبورغ تريد معرفة تاريخ عودتك... (شويتزر يقوم بحركة كبيرة) وتؤكد أنها مازالت تحتفظ بمقعدك الشاغر.

شويتزر : (بحزم)
اكتبي لرئيس الجامعة بأنه ما كان عليه أن يفعل ذلك... وأنني لن أعود أبدا، مطلقا!
(يتحدث كما لو كان يكلم نفسه).
مزاولة المهنة من جديد؟ انتهى كل ذلك! نعم لقد انتهى! ماذا هناك أيضا آنسة ماري؟
ماري تلقى ناشرك تسعة طلبات ترجمة لكتبك عن القديس بول وهو يرجو منك....

شويتزر : (يقاطعها بحدة).
أنا موافق على كل ما يريد! إنني أثق به، ماذا بعد؟

ماري : سبعة عروض لعزف الأورغ في... (تأخذ الرسائل واحدة تلو الأخرى) ايدمبورغ... ستوكهوم... أمستردام...

شويتزر : (يقاطعها)
في الشتاء القادم؟ وافقي عليها كلها: نحن بحاجة إلى النقود (ينهض ويتجه نحو المخطط الموجود على الحائط) أريد ثلاثة أجنحة أُخرى قبل صيف ١٩١٥:



أمومة (توليد)، جراحة صغرى، وجناح للأمراض العصبية.

ماري : (تتصفح بقية الرسائل)
ها أنت تتلقى الهبات...

شويتزر : آه! ماذا ستكون حالنا لولا أصدقاؤنا الأوروبيون!

ماري : (بسخط).
قل بالأخرى ماذا كان سيحل بهؤلاء السود لولانا! شويتزر إذا أردت! المهم أن يجد كل ما ينشده من نجدة!

ماري : (بصلابة)
بالنسبة إلـيّ، هنـاك أشـخاص يضحون بأموالهم وآخرون يضحون بأنفسهم!

شويتزر : (بلطف)
بالنسبة إلي هناك أشخاص يحسون بالخطأ وهناك من يبتسمون.

ماري : هذا تقريبا نفس الشيء.

شويتزر : لا بما أنك لا تبتسمين... ماذا هناك؟

ماري : (تنهض وتذهب إلى الباب الزجاجي الخلفي)
أنا كالغابة أنا كأفريقيا بأكملها في أثناء المساء: انتظر الإعصار... أختنق...

شويتزر : (يقترب منها. يدير الاثنان ظهريهما للجمهور)
مر الإعصار وعادت الأوراق إلى وضعيتها، ارتوت



الأرض وانتعشت الأشجار حتى اللب...

ماري : (بصوت منخفض)
يا لسعادة الأشجار!

شويتزر : غدا صباحا ستعذبها الشمس بصمت وسوف تتألم أفريقيا العطشى. ولكن أنت، أنت سترين كل شيء وستنسين هذه الليلة القاسية... (يعود إلى مقدمة خشبة المسرح تجلس ماري مجددا يتأملها شويتزر، ثم يقول وهو يسكب لنفسه كأسا من عصير الفواكه) تبدين عصبية في هذا المناخ.

ماري : (تبتسم وتبدو عدوانية بعض الشيء)
ولكن أنت أيضا يا دكتور كنت قد أرقت قليلا من العصير هنا...

شويتزر : لقد فعلت ذلك عمدا.

ماري : لماذا إذن؟ (تنهض فجأة) اسمع!
(تستدير مجددا ويبدو عليها الغموض والارتباك. تقول بعد وقت قصير).
اعتقدت أن...

شويتزر : هذه هي أفريقيا: نعتقد دائما... أخطر شيء يكمن في ما لا نسمعه...
يجب أن تنامي آنسة ماري.

ماري : لا أستطيع النوم هذا المساء.

شويتزر : (مبتسما)

الأطفال العصبيون تروى لهم الحكايات لكي يناموا!
إذن أي نوع من الحكايات سأروي؟ سأروي لك أول عملية أجريتها في أول ليلة وصلنا إلى هنا كان المريض ممددا على صندوقين في المدجنة التي تحولت إلى غرفة عمليات...
كان مصباح الزيت يدخن... وكانت زوجتي تراقبني وهي ترتجف قليلا...

ماري : وهي ترتجف؟

شويتزر : نعم لأنه كان هناك ثمانية أزواج من العيون البيض التي كانت تحدق فينا في الظلام وكانت تتبع كل حركاتي. ثمانية محاربين من حركة «أم فان» كانوا مسلحين ومجنحين كديوك العراك!

ماري : وهل نجحت العملية؟

شويتزر : وإلا ما كنا هنا! في ذلك المساء انتصرت على كل سحرة الغابة الكبيرة! في الليل نشر الخبر على قرع الطبول، وعند الفجر أوصلتنا السفينة برفقة عائلات عديدة إلى مركز استقبال البضائع في المرفأ حيث كانوا يهتفون لي باسم «نتشيندا» N'tchinda...

ماري : نتشيندا؟

شويتزر : أي «الذي يقطع جيدا».

ماري : (بعد صمت)
وأي لقب تعطيني؟

شويتزر : (يبتسم، ولكن تبدو عليه الرصانة).
بـالـوآ لا Baloua la... (مـاري تـقـوم بحركة استفهامية)
«تلك التي لم تختر بعد»

ماري : (بصوت مرتق)
هل تعرف أدوية للروح أيضا دكتور شويتزر؟

شويتزر : (ببطء)
إليك واحدا منها أبقاني حيا حتى هذا اليوم...
هذا اليوم الذي بلغت فيه الأربعين من عمري!
لم أفكر أبدا أن أكون رجلا حكيما...

ماري : ماذا؟

شويتزر : كنت قد أقسمت على ذلك في شبابي، كنت أسمع الكبار يتحدثون عن مثالياتهم وحماسهم كالأطفال، كأطفال سيموتون. كان ينتابني الذعر بأن أشبههم يوما ما وقررت إذن أن أعيش وأحافظ على روحي.. نقية!

ماري : (بسخرية)
وهل تشعر بالسعادة؟

شويتزر : (بعد لحظة)
إنه منتصف الليل ونحن وحيدون في وسط الغابة الإستوائية... ومع ذلك مازلت مترددا في أن أبوح لك بهذه الحقيقة التي قبلتها لسنوات طويلة: أن السعادة ليست موجودة.



ماري : (تصرخ فجأة)
أنا لا أصدقك!

شويتزر : يمكن للمرء أن يتعلم هذه الحقيقة ولكن لا يمكنه نقلها للآخرين!

ماري : (بنفس الأسلوب)
وأنا أعتقد أن السعادة موجودة.

شويتزر : (بتجبر)
نعم، نعم، ولكن إذا كنت جديرة بها ستفهمين عندئذ أنها ليست من حقك، وأن عليك أن تضطلعي بقسط من ألم العالم... (صمت) إذن فاتركي السعادة... واختاري البهجة...

ماري : (تثور)
إذا فالبهجة بالنسبة إليك هي أن تترك زوجتك وابنتك الوحيدة في الألزاس؟ وأن تترك أيضا دائرتك الرعوية[1]، وعملك في الجامعة وربما فرصتك الأكيدة في أن تصبح عازف الأورغ الأول في أوروبا: أهذه هي البهجة التي تتكلم عنها؟

شويتزر : (بعد صمت)
سوف أجيبك، نعم إنها البهجة... (يصطنع الابتسامة) ولكن يمكنني أن أضيف أيضا أن دور الممرضة ليس نكأ الجراح!

---

(1) دائرة رعوية يخدمها كاهن، هي ترجمة paroisse. وتأتي بمعنى الكنيسة التي يخدمها الكاهن، أو رعيته المسؤول عنها، وأيضا بمعنى مقاطعة (قسم إداري سابقا).



ماري : (تخفض رأسها)
أستميحك عذرا! ولكن لا تنتظر مني أي مجاملة!
بين الأشخاص المجروحة... هناك...

شويتزر : (يقاطعها)
أنت مجروحة؟

ماري : (ببشاشة عدائيّة)
نعم! تصوّر لو أنني اكتشفت حقيقة ما... لا شيء يجرح كالحقيقة (ردا على حركة لشويتزر) وهل يعيش المرء إلا مرة واحدة...

شويتزر : (بصوت منخفض)
كنت أعتقد ذلك أيضا إلى اليوم الذي ولدت فيه ابنتي...

ماري : (بعنف ومن دون أن تستمع له)
لا يعيش المرء إلا مرة واحدة! كنت أعرف ذلك بالتأكيد! اليوم الذي تموت فيه الأم يصبح المرء يتيما، مع ذلك لا نفهم هذه الحقيقة إلا في اليوم التالي، لا يعيش المرء إلا مرة واحدة. أصبح هذا الأمر واقعا: لقد استقر سرطان العصر في نفسي، هذه الساعة التي أرتديها في معصمي، هي نبضي الحقيقي الذي ينبض...

شويتزر : لا يعيش المرء إلا مرة واحدة، وتسألين نفسك ما إذا كنت فعلا لم تضيعي حياتك هنا...

ماري : ما إذا كنت لا أضيعها، ببساطة.

شويتزر : إذن اطمئني لأنه بهذا السؤال الذي يطرحونه على أنفسهم يمكن التعرف على أولئك الذين لا يضيعون حياتهم!

ماري : لا! فقط أولئك الذين في إمكانهم عدم إضاعتها! (بصوت أصم) آه! ما كنت سأسامح نفسي...

شويتزر : (يقاطعها)

عندها سيسامحك الله!

(يغير نبرة صوته) هيا، تعالي وانظري لماذا أرقت عصير الفواكه منذ قليل...

ماري : (بعد أن اقتربت، بحركة تدل على الاشمئزاز)

يا للرعب! ما هذا الخيط من النمل الأحمر.

شويتزر : إنها بقراتي! لقد جذبهن السكر فجئن بانتظام جميل من الغابة إلى هنا...

ماري : هذا المنظر مرعب!

شويتزر : أو أنه منظر عظيم، أو مضحك: إنهن كالجيش، أو كالموكب. إنها مسألة ذوق! ولكن ليس مرعبا على كل حال. الشيء الحي لا يرعب أبدا. وحده الموت يبدو مرعبا، موت الآخرين... (صمت) انظري القطرات الثلاث غرفت ونملاتي تعود أدراجها... أفضل رؤيتها هنا على أن أراها تسير بانتظام نحو المدجنة. النمل يخنق الدجاج فهو يسد مناخيرها ومناقيرها، ويلتهمها في لحظات! لمدة ثلاث ليال في

السنة تقريبا يضعنا النمل في حالة ذعر واستنفار.

ماري : (بصوت منخفض)
هذا البلد عديم الإنسانية.

شويتزر : إنها مملكة داموقليس[1]، الموت حاضر في كل لحظة، ومعلق في كل مكان... وهذا له تأثير الدواء أو السُّم وفق الأعضاء (يتأهب فجأة) هل تسمعين؟
شخص ما يقترب، شخص ما يسير نحونا (ماري تقوم بحركة عصبية) لا ترتعبي! قلت لك إن الخطورة هنا في ما لا نسمعه!

ماري : (بصوت منخفض)
لكنني لم أسمع شيئا.

شويتزر : (يبتسم)
ومن ثم فإنه يجب أن تحبي سلفا كل ما هو مفاجئ، بالوا لا... يوما ما سيدخل عليك أحد الوجوه من باب يحيط به كالإطار، وسيقع كتاب ما بين يديك وستسمعين كلام أحد الغرباء... وستكتسب حياتك فجأة معنى لها.

---

(1) داموقليس: وهو من حاشية بلاط دنيس طاغية سيراكوز (430 - 367)، المعروف بخلوه من أي ضمير أخلاقي وكثرة شكوكه بالآخرين، فكان سجين أسوار قصره، ويلبس الدرع دائما خوفا على حياته. وكان داموقليس يبالغ في وصف سعادته، فأراد الطاغية، حسب رواية شيشرون، أن يلقنه درسا في التواضع والحكمة، فدعاه إلى وليمة، واستقبله استقبال الأمراء، لكنه سرعان ما علّق فوق رأسه سيفا ثقيلا يمسكه عن السقوط شعرة من عرف (لبدة) حصان، وذلك ليظهر له هشاشة السعادة التي تحيق بها المخاطر. ومن هنا جاءت عبارة «سيف داموقليس» وترمز إلى الخطر المستمر الذي يحدق بالإنسان.

ماري : هيا إذن! الحياة الحقيقية يجب ألا تكون نتيجة للمصادفة.

شويتزر : بل كل حياة عظيمة هي وليدة مصادفة عظيمة.

(وبعد أن ينهي هذه الجملة يفتح الأب شارل الباب الخلفي حاملا بين يديه طفلا أسود. للأب شارل وجه نحيف مغطى بلحية بيضاء، وفتحة فمه تظهر ابتسامة دائمة، تقريبا كأولئك الذي تعميهم الشمس. يرتدي ثوبا أبيض وعلى صدره يضع قلبا قرمزيّا يعلوه أو/ يتوجه صليب: وهو اللباس ذاته الذي كان يرتديه الأب فوكو).

المشهد الثاني

شويتزر - ماري - الأب شارل

ماري : الأب شارل!

الأب شارل : كنت أعلم أنكم لم تناموا بعد!

شويتزر : (يقترب منه)

أهذا هو الطفل المريض؟

الأب شارل : (يثبت الولد على أحد الكراسي)

عندما سمعت الرسالة: «يا إلهي... ولد... مريض...» هرعت إليه، كانوا يتأهبون لذبحه يا دكتور شويتزر! كانوا يعتقدون أنه مجنون...

ماري : هل هو مصاب بالصرع؟

الأب شارل : بالتأكيد.

شويتزر : (يفحص الطفل لفترة قصيرة)

لا، ليس كذلك! أزمة عصبية ناتجة عن هذا الخراج المتشكل في الساعد. سأجري له عملية على الفور...

ماري : مباشرة؟

شويتزر : نعم أظن ذلك! ضعيه على الفراش، آنسة ماري (يؤشر لها على باب الجهة اليمنى) في هذه الغرفة، أعطيه مسكنا واغسلي ساعده، نادي لجوزيف وبرونزو كي يحضرا العملية معي. شكرا لك.

ماري : أستطيع القيام بذلك لوحدي...

شويتزر : لا! يجب أن يمسك الولد من دون أي عطف: لا أستطيع الاعتماد عليك، شكرا لله! (مبتسما) حتى في هذا المساء... يمكنك أن تواسيه أكثر من أي شخص آخر بعد العملية.

(تحمل ماري الطفل الأسود وتخرج من باب الجهة اليمنى وما إن تخرج حتى راح شويتزر يتكلم بحدة مع الأب شارل).



المشهد الثالث

شويتزر – الأب شارل

شويتزر : يا للخسارة يا أب شارل! لقد مضى على إقامتنا هنا سنتان، ومازلنا نضحي بأطفال مرضى... يا للخسارة!

الأب شارل : (مضطرب جدا)

سنتان، بالتأكيد! ولكن كم من القرون مرت قبلنا، وكم من قرون ستأتي بعدنا!

شويتزر : (بصوت منخفض)

لا أيها الأب شارل، لا! بالنسبة إليّ لا يكفيني أن يطبق حكم الله، أريده أن يأتي بسرعة، بسرعة أكبر!

وإلا ما فائدتي أنا؟

الأب شارل : (بصوت منخفض)

لست أنت من لا يعمل جيدا يا شويتزر، وإنما أنا الذي لا أَصلي كما يجب...

شويتزر : (ينتقل من أمام مخطط المشفى إلى خريطة أفريقيا)

لقد بنيت ثلاثين تخشيبة مجهزة بثلاثمائة سرير ومائة مرقد. وكما ترى هذه المنطقة أقليم أكبر من الألزاس بعشر مرات! في الماضي لم يكن هناك شيء، وفي يوم ما ستكون هناك مشاف نموذجية



مستوصفات في كل مكان! ولكن يا أب شارل ما يهمني هو اليوم بالذات! (صمت) أنت تعتقد أنني واحد من المعترضين البروتستانت المرعبين، أليس كذلك؟

الأب شارل : (بعد صمت)
لا يا شويتزر، كنت أسأل نفسي كيف تراني أنت، أنت الذي تضحّي وتبني وتعتني بالمرضى ليلا ونهارا! أما أنا فأقضي ساعات عديدة مضجعا أمام القربان المقدس...

شويتزر : (بصراحة)
يجب أن تتوافر فينا الشجاعة عندما نرى أجساد الناس المتعبة، كي نفكر أولا في أرواحهم الأكثر بؤسا. أنا لا أقدر على ذلك...

الأب شارل : (بصوت منخفض)
أنت كريم جدا.

شويتزر : في قريتي غونسباخ، هناك كنيسة واحدة يا أب شارل، يقصدها الكاثوليك والبروتستانت في آن واحد. إذن ما جدوى الصراع العقائدي والتصنيفي، أنت تدرك جيدا معنى ذلك!...
(ينهي فكرته بإشارة)

الأب شارل : كل منا مضى في طريقه. في البداية كل واحد كان يدير ظهره للآخر...



شويتزر : وهـا نحن نلتقي وجها لوجه، على الطرف الآخر من الأرض، وفي منتصف حياتنا، خائري القوى ومحزونين (بعنف) آه! هل الطغاة والأثرياء هم وحدهم إذن القادرون على أن يصلوا إلى أهدافهم؟

الأب شارل : (بعد صمت)
كنت أعتقد أنني التقيت هنا الشخص الوحيد الذي لم يصب بالإحباط أبدا...

شويتزر : إنه منتصف الليل يا أب شارل! سأقوم بمعاينة منتصف الليل لوحدي كالعادة (يذهب نحو خريطة أفريقيا) أقف أمام هذه الخريطة التي أحتفظ بها هنا بكل تواضع وحيث لا نشغل منها (يغرس دبوسا على مقاطعة لامبارينه) إلا مكان هذا الدبوس المغروس.

الأب شارل : هذه الشوكة المغروسة في هذا الجسم المتوحش الكبير والتي سوف تقضي عليه في النهاية!

شويتزر : ولكن متى، أب شارل؟ متى؟ هل سيرى ذلك أحفاد أحفادنا؟

الأب شارل : (يضع يده على كتف شويتزر)
هم سيرون الأجساد، ولكن نحن يا شويتزر، من السموات العليا سنرى الأرواح أيضا!

شويتزر : (بكآبة وبعد صمت)
ولكن لو أن الحاكم سمعنا لضحك كثيرا. والرائد ليوفان أيضا...

الأب شارل : سيكون ضحكهما مختلفا!

شويتزر : (يفاجئ)
هل تعرف الرائد؟

الأب شارل : لم ألتق به هنا حتى الآن ولكن كنا معا في سان سير.
لماذا تبتسم يا شويتزر؟

شويتزر : الأب شارل في سان سير Saint-Cyr.

الأب شارل : (بحيوية) آه! لا تتحدث عن ذلك الوقت! آيه!

شويتزر : لكن هل كان معتدا ومتكبرا؟ ليوفان البناء؟

الأب شارل : كان في حاجة إلى حصة كبيرة من الأحداث والقرارات والمادة البشرية كي يسحقها.

كان يقول : «أنا أتحرك كالحيوان!» وكان يلقي بنفسه في دقيقة واحدة بكل قواه كما لو كان يلعب بكل شيء على خريطة... ليوفان...

شويتزر : وهل كان لديه هذا الضعف الناجم عن حاجته في أن يكون محبوبا ومقبولا؟

الأب شارل : نعم، كانت هذه هي نقطة ضعفه الأولى والمدهشة.

شويتزر : وماذا كانت الثانية؟

الأب شارل : والثانية هي سر نجاحه، قابلية مفرطة للملل.

شويتزر : هل يعرف ليوفان الملل؟

الأب شارل : ملل مميت، كان يقتله تماما عندما يتوقف عن العمل!

شويتزر : (بعد صمت)

العمل... أنا في الثلاثين فقط من عمري بدأت أتقزز من الكلام...

الأب شارل : إذن فبالنسبة إليك العمل هو عكس الكلام؟

شويتزر : نعم، وهو النقيض الوحيد للكلام.

الأب شارل : لا ، شويتزر، عكس الكلام هو الصمت أيضا .

شويتزر : (يفاجئ، يتأمله لبرهة ثم يغير نبرة كلامه). جسمك آخذ بالنحول يا أب شارل.

الأب شارل : (متضايق) دعنا من هذا! الأشجار لا تتحف أبدا .

شويتزر : (بهدوء ولكن بلهجة حاسمة) أنت تتحف، وآسف لأنني قلت لك ذلك ولكني أخشى أن تفرض على نفسك حرمانا...

الأب شارل : (بنفس اللهجة) لا أبدا...

شويتزر : (يتابع) ... وتقشفا حتى الموت! الجسم رفيق جيد يا أب شارل، فاهتم به!

الأب شارل : (يبتسم) إنه خادم نهم ومتقاعس...

شويتزر : (يقاطعه) ولكن وفيّ حتى الموت! ومن جهة أخرى فالتقشف في أعلى درجاته هو أن تتخلى عن تقشفك...

الأب شارل : لا تطلب مني ذلك!

شويتزر : بلى، أعتقد ذلك. لنقف جانبا، أريد أن أفحصك...

الأب شارل : بالتأكيد ليس قبل صغيري المريض.

شويتزر : (يذهب نحو باب الجهة اليمنى)

كل شيء سيكون جاهزا.. (يستدير) لا تخرج أب شارل!

(يخرج شويتزر. يبقى الأب شارل وحيدا، يذهب نحو الباب الخلفي ويفتح مصراعيه. يتوقف عن الحركة، متباعد اليدين، مصلوبا وأبيض، في حين تبدو وراءه خلفية الليل السوداء حيث تتعالى الهمسات. تدخل ماري من باب الجهة اليمنى تتأمله لبرهة قبل أن تقرر الحديث معه).

المشهد الرابع

الأب شارل - ماري

الأب شارل : (يتحدث بصوت منخفض كما لو أنه يحدث نفسه)

الظلمات الخارجية...

ماري : (بعذوبة وبعد صمت)

يجب إغلاق هذا الباب يا أبتي.

الأب شارل : (يستدير نحوها وهو يغلق مصراعي الباب)

أتخشين من البعوض؟

ماري : (بصوت أصم)



بل من جميع الأعداء في الخارج ومن جميع قوى الليل، أليس لدينا ما نفعله لأنفسنا في ليلتنا هذه مع أعداء الداخل؟ (يتأملها الأب شارل من دون أن يجيب) لماذا تضحك باستمرار، أب شارل؟

الأب شارل : إنه سلاحي الوحيد، دعيه لي!

ماري : (من دون مجاملة)

إنه سلاح ذو حدين!

الأب شارل : أعرف أن ذلك مزعج ولكن يمكن للإزعاج أن يكون مفيدا. فعندما لا يؤدي الزيت إلى فتح قفل ما نضع الحامض (الأسيد)...

(صمت) طلبت مني معرفة سبب ابتسامي. هل أستطيع أن أعرف لماذا لا تبتسمين؟

ماري : (بحذر، وحيرة)

أب شارل! هل تعتقد أنت أيضا أننا ليس لنا الحق في السعادة؟

الأب شارل : (ببطء)

السعادة تمر كسيد في موكب مهيب... تنتظرينها طويلا وفجأة يبدأ قلبك بالخفقان السريع...

آه! تأخر الوقت! ثم تمر... السعادة لا ترى إلا بعد أن تمضي...

ماري : إذن فالحكايات التي تنتهي بخاتمة سعيدة هي كاذبة؟



الأب شارل : إنها تنتهي دائما على أعتاب السعادة ولو زادت هذه الحكايات صفحة واحدة لانهار كل شيء! والأسوأ ربما أنها تصبح من دون قيمة...

ماري : لا! لا! كانت السعادة ستستمر لو لم تطردوها أنتم!

الأب شارل : نحن؟

ماري : نعم، أناس مثلك ومثل الدكتور! أنتما متأكدان سلفا بأننا لا يمكننا أن نحتفظ بالسعادة أو أننا ليس لنا الحق فيها! الخجل من السعادة مرض معد!... وفي هذه الأثناء يمضي الوقت...! سأطرح عليك سؤالا أحمق يا أب شارل: هل تنظر إلى نفسك في المرآة أحيانا؟

الأب شارل : (بعد لحظة)

منذ زمن طويل جلست وجها لوجه مع أحد الغرباء وأمام نظراته القلقة قلت لنفسي: «ماذا أستطيع أن أفعل لهذا العجوز؟» مددت له يدي، كنت أمام إحدى المرايا...

ماري : (تأخذ مرآة من على الطاولة)

حسنا بالنسبة إليّ أنظر إلى نفسي صباحا ومساء في هذه المرآة و... (تنهي كلامها بصوت منخفض) وأريد أن أصبح سعيدة وبسرعة!

الأب شارل : (بلطف)

ولكن... ألست سعيدة هنا؟



ماري : (تبدو أكثر هدوءا)

لا أب شارل، أؤكد لك أن الإنسان يمكن أن يعيش بسلام مع نفسه، مع الآخرين، مع السماء ومع ذلك يمكن ألا يكون سعيدا...

الأب شارل : (مشوش)

إذن فنحن ليس لدينا نفس التعريف في هذا الموضع.

ماري : (بحدة وعنف)

ولا في أي موضع آخر! أنا أعيش على الأرض، أعرف ما أسميه حبا وماذا يعني أن تحب شخصا ما، أن تختار شخصا واحدا فقط وأن تعطيه كل شيء!

الأب شارل : (بصوت منخفض)

هذه هي البداية...

ماري : (تزداد عنفا)

لا، بل هي النهاية، بالنسبة إليّ!

الأب شارل : (بقساوة)

إذن ماذا تفعلين هنا؟

ماري: في هذا الجحيم؟

الأب شارل: في هذه السماء الحارقة التي تعتبرينها كالجحيم؟ (تريد أن تجيب ولكنه يوقفها بلهجة حاسمة) سأقول لك هذا، لقد وضعت بينك وبين نفسك نصف الأرض! أنت تنتقمين بوجودك هنا من شخص ما،



ولكنك تتحملين جزءا كبيرا من هذا الانتقام كما تفعل كل النفوس النبيلة! وهذا الحب، وهذا الحب حصرا هو ما ينقصك اليوم...

ماري : (تريد أن تقاطعه)
أب شارل...

الأب شارل : (من دون شفقة)
ألم تفتقدينه في أوروبا، في البداية؟

ماري : (بصوت منكسر)
وكيف عرفت ذلك...؟

الأب شارل : (فجأة، يتكلم بهدوء وحنان)
أنا لا أعرف شيئا عن ماضيك... ولكنك في المقابل لا تعرفين شيئا عن مستقبلك! ومع ذلك لا تحبسي قلبك وأنت تنتظرين: قسميه هنا بين كل الناس الذين هم في حاجة ماسّة إليك!

ماري : (بمرارة)
لم آت إلى هنا من أجلهم.

الأب شارل : لقد جئت من أجل فكرة، والبطولة تقتضي أن يعتقد المرء بالفكرة بعد أن يرى البؤساء الذين يجسدونها.

ماري : (كما لو كانت تتحدث مع نفسها)
هل أتيت إلى هنا من أجل فكرة؟

الأب شارل : (بقسوة وبعد صمت)
لم تأت إلى هنا من أجل شيء ما، ولكنك أتيت إلى هنا ضد شخص ما! فقط.

		اعلمي أن من يريد العظمة لا يضع نفسه موضع الخصم.
ماري	:	(تحتد مجددا)
		دعك من هذا! إن دينك برمته هو في موضع الخصم! فهو ضد الحب، ضد الحرية، ضد المرأة وضد الحياة!
الأب شارل	:	(مذعورا)
		يا للهاوية!... فحتى طفل السادسة يعلم أن الحياة ما هي إلا سلسلة من الممنوعات! تبدين في عمر الست سنوات عندما تتحدثين بهذه الطريقة...
ماري	:	(تبدو أقل تأكدا)
		وماذا يعني الكمال سوى الحرمان من كل شيء؟
الأب شارل	:	وما قيمة الكمال بالنسبة إلى القداسة؟ وهل القداسة سوى التعطش لكل شيء؟ آه! الزهو هو الادعاء بالكمال، وليس الإرادة بأن تكون قديسا...
ماري	:	(فجأة)
		وهل الدكتور شويتزر قديس؟
الأب شارل	:	العلم عند الله ولكن لا يفاجئني أن يكون قديسا... هذا الإنسان يفيض حبا...
ماري	:	(بمرارة)
		أحقا ذلك؟ هل تعلم أنه ترك مدام شويتزر وابنته في الألزاس؟
الأب شارل	:	(بصوت منخفض)

لم أكن أعلم أنه يحبها لهذا الحد...

ماري : (بعنف)

فليحفظني الله من أن يحبني أحد بهذه الطريقة!

الأب شارل (أكثر حدة): الله؟ وأي شيء أكثر قيمة يمكن أن تقدميه لله في يومنا هذا؟

ماري : (بهدوء وبعد صمت)

لماذا تجرحني؟

الأب شارل : (بارتباك)

عندما يتقاتل اثنان من العميان، يجرحان بعضهما جراحا بالغة.

ماري : لا بالأحرى! أنت لم تجرحني ولكنك أطلقت العنان لجرحي فقط.

الأب شارل : (يأخذ ذراعها، ببطء)

اسمعي، من يدري، ربما ستلتقين بالشخص الذي تريدينه هنا؟ من يدري، ربما أنه ينتظرك هنا؟

ماري : (ترتجف)

ولكن...

الأب شارل : وحدها الأرواح الحزينة تلتقي في آخر نقطة في العالم...

(في هذه اللحظة يدخل الدكتور شويتزر من باب الجهة اليمنى. يبدو عليه الإعياء ويمسح جبينه بمنديل).



المشهد الخامس

الأب شارل – ماري – شويتزر

الأب شارل : (يصرخ)

ماذا حل بالطفل؟

شويتزر : أجريت له العملية في الوقت المناسب.

ماري : هل نام؟

شويتزر : إنه ينام بعمق! وابتسامته كانت أجرنا لهذا اليوم.

ماري : (تذهب نحو اليمين)

سوف أوقظه.

شويتزر : لا فائدة من ذلك: برونزو نقل حصيرته إلى جانب السرير ولن يفارقه.

ماري : (بلطف) ألم يكن برونزو قد فقد ولدا في هذا العمر؟

شويتزر : بلى (صمت)

الرجال الذين تقطع إحدى أيديهم يحسون بمرور الوقت بألم في هذا العضو الغائب...

الأب شارل : (بصوت منخفض)

سقمي هو مصدر قوتي.

شويتزر : (يأخذه من كتفه بفرح)

أيها الأب شارل، إذا كنت تعتقد أنك تسايرني بتلاوة شيء من التوراة فأنت تضيع وقتك! قلت لك بأنني سأفحصك وسأفعل ذلك (يدفعه نحو باب الجهة



اليمنى).

الأب شارل : (يبدو حائرا)

اسمع...

شويتزر : (بنفس الجهة)

لا أريد أن أسمع شيئا: (يوجه الحديث إلى ماري) إن جسمه ينحل! (يعبر باب الجهة اليمنى)

تقدم!

(يخرج الاثنان)

المشهد السادس

ماري لوحدها، ثم يدخل الرائد ليوفان

(تقترب ماري من الطاولة ببطء، تأخذ من عليها المرآة وتنظر فيها لفترة طويلة وتفيض عيناها بالدموع. ولكن فجأة تقف وتمسح عينيها بسرعة، سمعت ضجة قريبة في الحديقة. يسمع صوت همسات، ويهتز ضوء قوي أمام الباب المزدوج الخلفي. يفتح الباب بعنف ويظهر الرائد على العتبة. يبدو جميلا وكأنه يضع قناعا يظهر شخصيته. يلف نفسه بنوع من البرنس الرقيق تماما كما هي الحال في كل صور المارشال ليوتي).

ليوفان : (يتوقف عند العتبة ويتكلم بصوت عالٍ باتجاه الخارج)



انتظروني يا أطفالي، أطفئوا مصابيحكم!... (يغلق الباب ويلمح ماري لوحدها. يضيء وجه).
آه! لم أكن أتوقع أن أراك مستيقظة... كيف حالك؟

ماري : (خافضة نظرها)
الدكتور شويتزر بخير.

ليوفان : (بإلحاح، وهو يتفرس بوجهها)
قلت لك كيف حالك؟

ماري : (ترفع نظرها)
آه! بخير.

ليوفان : (فجأة) عيناك محمرتان... هل كنت تبكين؟

ماري : نعم.

ليوفان : يمكن أن...؟

ماري : (بحيوية) لا!

ليوفان : (ينظر إليها ثم يقول بصوت منخفض)
القلوب الفخورة بنفسها هي كالناس الفقراء: فهم بالغريزة، لا يدافعون عن أنفسهم إلا في وجه من يريد لهم الخير...

ماري : (بجفاء)
هذا ممكن!

ليوفان : (بجفاء) نعم هذا ممكن، لكن أنا لا أقبل ذلك! ولم أقبل أبدا شيئا على الفور، فقط الأشياء التي لا يمكن إصلاحها...



ماري : (بهدوء وبعد صمت)
هل تريد رؤية الدكتور، أيها الرائد؟

ليوفان : (يبدو عليه الخجل)
جئت لرؤيته ولكنني سررت بلقائك...

ماري : (كما لو أنها لم تسمع)
سأذهب لأخبره (تتجه إلى اليمين)

ليوفان : (ببطء كما لو كان يتحدث لنفسه)
أكره هروبك مني... ومع ذلك سأكون محبطا لو لم تفعلي هذا: هذه هي عادتك...

ماري : (التي تتوقف، تتجه نحوه وتقول بصوت محتد) لماذا تتكلم معي بهذه الطريقة؟

ليوفان : (بلطافة)
اسأليني بالأحرى: لماذا أكلمك بهذه الطريقة في هذا اليوم تحديدا...
(يبقيان صامتين، وجها لوجه، فجأة يعود ليوفان للكلام ولكن بلهجة حاسمة)
اسمعي، بين الناس من جبلتنا، هذه الخدع مهينة. أنت تعرفين ماضي وتعرفين طباعي. تعلمين ماذا أعطي وماذا أريد، (ماري تقوم بحركة) لا! لا تجيبيني هذا المساء! دعي كلامي يستقر في نفسك من دون أن تعلمي بذلك كبذرات تسقط في الأرض. وإذا لم تحدثيني عن هذا الأمر غدا. فلن أحدثك عنه أبدا

(ماري تتجه نحو اليمين) لا جدوى من ذلك ليس عندي ما أقوله للدكتور شويتزر! لقد أتيت، لم آت إلا من أجل... هذا (صمت طويل نسبيا، ليوفان يقول أخيرا) والآن ماري قولي لي شيئا ما لو سمحت.

ماري : (تأخذ واحدا من المصابيح وتقول بقوة)
حان الوقت لزيارة الأشخاص الذين أجريت لهم عمليات...
(تخرج من الخلف، يتبعها ليوفان بنظراته من دون أن يتحرك وبعد لحظة يدخل الدكتور شويتزر مسرعا من اليمين، وقد أتى يبحث عن سماعته على الطاولة).

المشهد السابع

ليوفان – شويتزر

شويتزر : الرائد ليوفان! هذه الأنوار، وهذه الهمسات، هذا أنت إذن...

ليوفان : (يبتسم أيضا) وهل كنت تشك في ذلك؟

شويتزر : كنت متأكدا... ولكني كنت أنتظر السيد الحاكم لوبلان ولكن أنت ليست لديك الحاشية ذاتها.

ليوفان : (بتعال)
ولكن ما هو الشيء المشترك بيننا سوى أننا التقينا هنا؟

شويتزر : (بعد لحظة) بالنسبة إلى ساكن المنطقة الأصلي من الأفضل أن يتشابه قليلا المظهر الجانبي لشخصين

يمثلان فرنسا...

(ليوفان يقوم بحركة تدل على عدم القدرة)

هل تركتك الآنسة ماري وحيدا؟

ليوفان : لقد ذهبت في جولة على قسم الجراحة.

شويتزر : (يفاجأ)

في هذه الساعة؟ (يتجه إلى اليمين وساعته في يده)

اعذرني أنا أقوم بفحص الأب شارل الآن.

ليوفان : فيربيه هنا! حسنا سوف آراه!

شويتزر : (يعود على خطاه)

هل كانت لك سلطة عليه سابقا؟

ليوفان : سلطة، لا ولكن يمكن أن نقول بعض الهيبة...

شويتزر : إذا سأكون بحاجة لك!

(يخرج من باب الجهة اليمنى)

المشهد الثامن

ليوفان - لوبلان - وثم شويتزر.

(يبقى الرائد ليوفان وحيدا بالقرب من خريطة أفريقيا إلى اليسار، يتعمق في دراسته لدرجة أنه لم يسمع الحاكم لوبلان وهو يدخل من الباب الخلفي. يبدو لوبلان بطول قامة ليوفان وهو مرح مثله، ويتصف الاثنان بنفس عادات المبالغة وانفجار الغضب، ومع ذلك فتوجد بينهما فروقات جوهرية:



بين جميع الرجال يبدو لوبلان أكثر إنسانية من غيره. يقترب من ليوفان يتوقف للحظة من دون أن يتكلم ثم يقول):

لوبلان : إذن ليوفان، كم من المدن الجديدة، وكم كيلو مترا من السكك الحديد ستنشئون لنا؟

ليوفان : المعذرة! لم أسمعك عندما دخلت! مساء الخير لوبلان.

لوبلان : ولكن أنا سمعتك عند ملتقى مياه منطقة دواره، أنت وحملة المصابيح والمغنين! لقد تجاوزت مركبي الصامت.

ليوفان : أعرف أن «أبهتي» لا تعجبك... وهذا الكلمة هي مقتبسة منك!

لوبلان : (ببطء، ينظر إلى وجهه)
هذا يعني أنك يجب أن تختار كما يبدو لي: إما البذخ والأبهة وإما الألفة[1]، إما التعالي وإما الغوغائية [2] وأيضا إما تحقير رجال السياسة أو السعي إلى إرضائهم، يجب أن تختار أحد هذين الأمرين، وليس الاثنين معا.

ليوفان : عندما تتحدث عني يا لوبلان، وتتحدث عن هذه الأمور لا تستعمل أبدا «أو» وإنما قل «و».

لوبلان : أنا فقط أحب أن يكون للإنسان معتقد، وأن يتمسك

---

(1) الألفة، ترجمة كلمة familiarité، وتنطوي على معاني التقارب والتعود بين الأصحاب....
(2) الغوغائية، ترجمة كلمة démagogie، وتعني سياسة تملق الشعب لتهييجه.



بهذا المعتقد!

ليوفان : ربما أن هذا أيسر، لكنه مناسب للآخرين فقط!... أما أنا فلا أحبذ المعتقد وإنما الفكر.

لوبلان : فكر التشيّع للطبقات المغلقة[1]؟

ليوفان : هيا، يجب أن تختار أنت أيضا: أن تختار معاتباتك! تقول «الفكر الطائفي»؟ أنت تعلم أن حكم العريف في الجيش كما حكم النقيب لهما نفس الأهمية عندي!

لوبلان : بالضبط! يجب أن يكون المرء متأكدا من أصله لكي يجرؤ على المخاطرة بنفسه.

ليوفان : جدي وأولاده الثلاثة كانوا جنرالات وهذا ليس من قبيل الفكر الطبقي، وإنما هو ميل وقدر!

لوبلان : أعرف! أعرف أن أباك خدم في ظل أربعة أنظمة حكم مختلفة فقط بـ... ببعض الاختلافات في التفضيل.

ليوفان : وهذا ما يثبت أنه في عائلتي يتجاوز حب الخدمة موضوع الأحزاب.

لوبلان : (يشير إليه بأصبعه)
مع ذلك، تبدو كالملكي الذي يفتح إمبراطورية من أجل الجمهورية، كم هذا فريد!

ليوفان : أنت تشرفني بكلامك هذا لوبلان. إلا أنني واقعي جدا لدرجة أنني أقبل أن أكون جمهوريا تحت حكم

(1) ترجمة esprit de caste.



الجمهورية.

لوبلان : زواج بالإكراه!

ليوفان : (يبتسم)

لكنها الزيجات الأكثر صلابة!

لوبلان : إذا كنت تعتقد أنك تخدم الجمهورية بلعن رجالاتها وبتجاهل موظفيها، فأنت على خطأ يا ليوفان!

ليوفان : (بصوت منخفض ولكن بعنف)

أكره السياسيين الذين يعزلوننا من هناك و يدمرون من على شرفات بيوتهم خمس سنوات من العمل والتأثير! أكره عسكر المكاتب الذين هم مدنيون متنكرون، وعرفاء تزين بذلاتهم النجوم! أكره كل من يقتل من بعيد: أنا مع الطريدة ضد الصياد!

لوبلان : (بهدوء)

لو كنت في مكانهم «هناك» فإن الرائد ليوفان سيقلقك من دون شك، ولكنت كرهت تصرّفاته!

ليوفان : مثل ماذا؟

لوبلان : مثلا تصرفاته العنيفة المذهلة، على الرغم من كونها محسوبة، وعفويته... المقصودة، والثقة بالمقربين، وهذا النفور من الآخرين!

ليوفان : (يبتسم) إذن فأنت غير معجب بطريقتي في جعل من حولي يخلصون لي؟

لوبلان : في يوم وصولك، عرض عليك أحد النقباء تقرير العقوبات، وميزانية المطاعم، وأمر نقل سيارة تحمل

الشارات العسكرية... إلخ. فسألته: «كم من الأوراق من هذا النوع تأتيك يوميا؟»، ثم أجابك: «ستون، سيدي الرائد»، فقلت له: «أنا أحذف منها خمسين»، النقيب اعتبرك إلها... هذا سهل جدا!

ليوفان : من الأسهل بكثير تجميع الأوراق، وترك الناس حولك يموتون خنقا والاكتفاء بالقول: «لا أريد أن أعرف ذلك».

لوبلان : بدوري، لا أريد معرفة ذلك! إنها تفاصيل طرائق عسكرية وأنا لا ألومك لأنك تقوم بواجبك يا ليوفان. ولكن ألومك على الطريقة التي تخلص بها نفسك! هذه الطريقة الحاذقة التي تتصرف بها في هذه البلاد، أن ترسم فيها سلفا مدنا وسككا حديدية وموانئ. لكل مهنته أيها الرائد! احفظ حدودنا، واخترق أراضي أخرى ذات سيادة، واستعرض جيوشك تحت قوس نصر، ولكن دعنا نزرع، ونبن ونحكم!

ليوفان : هذان شيئان لا يمكن فصلهما، فعندما يستولي على موقع ما، يفكر القائد العسكري في السوق التي سيبنيها لاحقا ثم لا يأخذه بنفس الطريقة: أنا الذي أتحكم في كل شيء يا لوبلان، أنا الوحيد الذي أستطيع الحصول على كل شيء من دون أن استعمله! ترفك يكلف نقودا ولكن ترفي يوفر حياة

الناس. وحدهم الأقوياء لطفاء.

لوبلان : أعرف ما فعلت في تون كان وفي المغرب، إنه... إنه تاريخي! ولكن هنا المشكلة مختلفة تماما يا ليوفان، وأنا أعرفها أكثر منك...

ليوفان : أنت تعرفها من قصرك وأنظمتك! فأنت السيد المتعالي وأنا مجرد جندي! صدقني من الأفضل لك أن تنزل إلى القرى وأن تأخذ رأي الحمّال والمتسول...

لوبلان : (بهدوء)

هذا ممكن! ولكنني السيد هنا حتى يأتي أمر جديد. أقول ذلك دونما أي غرور لأنني لا أكون سيدا إلا بالقدم، السيد ولكن بشرط أن أطيع فأنا من يرسم الطرق ويشقها ولست أنت!

ليوفان : (بحدة)

إذن فافعل ذلك! لا شيء يتقدم في هذا البلد سوى الوقت. ستضيق هذه الطرق القليلة خلال خمس سنوات! وميناؤك الجديد سيصبح مخططا للميناء الجديد الذي يجب أن يقام! وهذا التقطيع المبعثر في الغابة! وهذه المباني التي تشبه الثكنات! هل ترى كل هذا يا لوبلان؟ هل تأمر بإنجاز كل هذا؟!

لوبلان : سأنفذ!

ليوفان : ولكن رجال المكاتب لا يمكن أن يعرفوا شيئا! بالنسبة إليهم هذا البلد لم يكن موجودا أبدا إلا على خرائط!

إن الشمس بالنسبة إليهم هـي مناقصة للخوذ، والثعابين صندوق من المصل أو مجموعة توابيت؛ والغابة مخصصة لشحن أمتار مكعّبة من الخشب الثمين؛ والسود مطلوبون للتجنيد، ومواطنون مكلفون (يدفعون الضرائب) مستقبلا. ولكن الأمور ليست هكذا بالنسبة إليك يا لوبلان أليس كذلك؟

لوبلان : (بعد صمت)
ليست أفريقيا لي لا قدرا ولا مغامرة: هي مكان للعمل. وإن الظروف التي وضعتني هنا متواضعة جدا.

ليوفان : (بصدق)
هل يجب أن نحزن من أجلك؟

لوبلان : لا، لأنني لا أتذمر! ولا أريد أبدا أن تتكسر مهنتي، من بعيد بضربة سياسة عشوائية ولا أريد أيضا أن أفني حياتي ولياليي وروحي في بناء مدينة!

ليوفان : ولا في تأسيس إمبراطورية؟

لوبلان : ولا في تأسيس إمبراطورية. ولا يهمني أن يذكر اسمي في المعاجم.

ليوفان : (بعد صمت)
هل تعتقد أني طموح؟

لوبلان : أنت نفسك تعتقد ذلك! أنت لا تقدر نفسك جيدا. هذا شيء مختلف تماما: أنت رجل عظيم يا ليوفان! أنت ترعبني.



ليوفان : (يهز كتفيه)

هيا! أكلمك بطريقة إنسانية! ما أجمل رؤية الأشجار وهي تكبر والطرقات والمدن بعين أبوية. ما أجمل أن يقرأ المرء نجاحه في عيون الناس وليس في الجرائد الرسمية! آه! لوبلان! ما أحلى إخلاصهم وطاعتهم! ما أجمل أن تجد دائما أناسا متطوعين!...

لوبلان : (يبتعد عنه)

هذا ما يثير رعبي! الرجل القوي يحرق كل من يلمسه.

ليوفان : إنه يؤججهم.

لوبلان : بل يستهلكهم. هذا الأب الذي تتحدث عنه هو قاتل.

ليوفان : وإذا كانوا يفضلون ذلك؟ حياة مشوقة: أليست الشعلة المتقدة أفضل من النار الهادئة؟ أليست المياه الجارية أفضل من «حمام مريم»[1]؟

لوبلان : (بجفاء)

ليس أنا (صمت. ثم بهدوء) لن تجندني أيها الرائد! أتساءل لماذا أبقوك هنا بعد أن أنهيت مهمة نشر السلام. إذا كانوا يريدون تسليمك هذه المناطق فسأمضي مكرها، أفضل الرحيل على العمل معك. أنا أخاف من الرجل القوي. فبينك وبين الأب فيرييه

(1) حمام مريم، ترجمة bain-marie، وتعني إنضاج بالتحميم. ولا مجال للمقارنة بين المياه الهادرة الصاخبة وتلك المحتبسة في إناء أو مكان مغلق، حسب ليوفان.



و شويتزر لن أكون محظوظا أبدا!

ليوفان : (يبتسم)

أنت ترى الأبطال في كل مكان! إنك تمتلك فكرا ملحميا.

لوبلان : كلا! وإنما لدي غريزة البقاء! فالهواء بينكم أنتم الثلاثة لا يمكن استنشاقه. فيرييه مجنون بالصليب! وأنت لديك جنون العظمة! وشويتزر...

ليوفان : (يقاطعه)

وفر على الأقل الدكتور وتمنى لنا أن نكون بتوازنه وفاعليته!

لوبلان : (يتابع)

شويتزر، ذلك البطل الوطني البروتستانتي.

ليوفان : (بسخرية)

وهل البروتستانتية وطن؟

لوبلان : وطن متطلب وغيور على أبنائه! وطن بجيش الخلاص، وطن بأبطال أشداء، وطن له خصوصياته الوطنية: الطب التجانسي[1]، حقوق المرأة، وحرمان الذات. أنا أشم رائحة البروتستانت كما يشم الآخرون رائحة اليهود، أعرفهم بسذاجتهم الماكرة وإعجابهم بالإنجيل وخاصة هذه النقطة، يا ليوفان فهم لا يكتفون بكونهم على حق وإنما يريدون إقناعك

(1) الطب التجانسي، ترجمة homéopathie، ويسمى أيضا الطب المثلي، وهو علاج الداء بالداء، ولكن بجرعات ضئيلة جدا.

بذلك.

ليوفان : أنت سام يا لوبلان.

لوبلان : إنه سم البصيرة المرعب... كم هي بسيطة سموم سحرة هذه الغابة! ومع ذلك فهي الأكثر قتلا في العالم.

ليوفان : (يغير من لهجته)
قل لي بصدق، ماذا فعلت من أجل شويتزر؟

لوبلان : أتحمله (يقوم ليوفان بحركة) ولا تنس أن شويتزر هو من الألزاس أي أحد الرعايا الألمان.

ليوفان : (بغضب)
لوبلان!

لوبلان : (يتابع)
... وأننا يمكن أن ندخل في حرب مع ألمانيا غدا!

ليوفان : من أجل تحرير الألزاس بالضبط!

لوبلان : بالتأكيد (صمت) على ذكر الألمان كيف يقال «انتقام» بالألمانية؟

ليوفان : (بغضب)
لا يمكن اعتبار الدكتور شويتزر من الرعايا الألمان لأنه سكن هنا في الغابون وليس في توغو أو في الكاميرون.

لوبلان : لقد اختار أكثر الأقاليم سوءا! هذه السلالة من الحمام لا تضع عشها إلا في أشجار التين الملعونة. وعندما يموت سوف يطلب من الله كمكافأة أن يسمح

له ببناء تخشيبات مشفاه في الجحيم.

ليوفان : ما رأي السلطات العليا بشويتزر؟

لوبلان : في السماء؟

ليوفان (مبتسما رغما عنه): لا، في باريس.

لوبلان : لا يعرف ما رأيهم به وعلى كل حال فاللطافة ليست من المعطيات السياسية. (صمت) أنا أساعده في حدود طاقتي ولكن هذه المساعدة ليست تنفيذا لأوامر.

(يمر وقت)

ليوفان : (بعد نظرة نحو باب الجهة اليمنى)

هل كان الدكتور ينتظرك هذا المساء؟

لوبلان : نعم، و ذلك من أجل الجرد. المواصلات معطلة بسبب تهديدات الحرب: نفدت أدوية شويتزر ونفد مخزونه تقريبا (صمت، يغير من نبرة صوته، و ببطء) ولكني لم آت من أجله.

ليوفان : (الذي يبدو وكأنه فهم مغزى كلامه)

آه؟

لوبلان : (بنفس النبرة)

قلت لك يا ليوفان إنني رجل... لست سوى رجل.

ليوفان : (بعد صمت، ينظر إليه بثبات).

في هذا المجال كلنا رجال وأناس عاديون.

لوبلان : (ينظر إليه بصمت للحظة، وثم يقول له بحدة)



ومـاري؟ كنت أشـك فـي ذلـك! ولـكن هـذا غش يا ليوفان، يجب الاختيار: فيرييه لم يعد يكتب إلى عائلته، شويتزر تـرك زوجتـه وابنته الـوحيـدة في أوروبا. الأبطال يعيشون وحيدين، أنت تمثل دورين (متناقضين).

ليوفان : ولكن ببطاقة واحدة.

(في هـذه اللحظة يدخل الدكتور شويتزر من باب الجهة اليمنى)

شويتزر : (يذهب إلى لوبلان)

السيد الحاكم، لم أكن أتوقع وجودك (يسلم عليه) لقد كنت أفحص الأب شارل، يا ليوفان، ورجوته أن يعتني بنفسه فابتسم! أرجو أن تقنعه بذلك أنت إذا مازلت تستطيع التأثير فيه (يقول للوبلان) هل تعرف سلالة أكثر رعبا من الذين يبتسمون كل الوقت؟

لوبلان : (بعد أن نظر لليوفان)

أولئك الذين لا يبتسمون أبدا!

شويتزر : نحن في حاجة إلى ماري من أجل هذا الجرد، هل ستأتون؟

لوبلان : لنترك متخرجي مدرسة سانسير معا: ليس فينا واحد من هذه الدُّفعة!

(يخرجان من الخلف، ليوفان يذهب بحيوية نحو باب الجهة اليمنى ويفتحه)



المشهد التاسع

ليوفان – الأب شارل

ليوفان : (يتراجع خطوة بعد أن فوجئ)
فيرييه!

الأب شارل : (يظهر على العتبة)
ليوفان!
(تتشابك الأيدي بحرارة، صمت)

ليوفان : (ببطء) لم أعرفك لولا عيناك... فقط عيناك لم يتغيرا. ولكن أين هو فيرييه الضخم الذي كنا نعرفه؟

الأب شارل : كنتم تنادوني جميعا بالأب فيرييه، سابقا؟

ليوفان : كنت الأكثر ثراء في دفعتنا... أنا متأكد من أنه لم يعد لديك سوى هذا الثوب الذي ترتديه!

الأب شارل : وبعض الكتب.

ليوفان : وشعراؤك اللاتين، في المجلدات النفيسة؟

الأب شارل : (يبتسم)
لقد تغيروا!

ليوفان : (يتابع)
وخلف الرف كان هناك كبدية فطيرة كبد[1] وزجاجة شراب.

الأب شارل : (بصوت منخفض)
اخرس!

---

(1) كبدية: معجنة من الكبد والتوابل.



ليوفان : (بنفس النبرة)

وضربة خفيفة على الباب، كنت تقول إنك لا تحب أن تزعج نفسك برفع رجلك.

الأب شارل : (يصرخ) اخرس! (بارتباك وبصوت منخفض) اعذرني...

ليوفان : اعذرني فيرييه! (صمت) ولكن أريد أن أعرف: أي طريق سلكت للوصول إلى هنا؟

الأب شارل : لقد مشيت على الأمواج...

ليوفان : ماذا؟

الأب شارل : هل تتذكر الإنجيل؟ عندما نسمع بوضوح كلمة «تعال» التي خرجت من فم الله، يكفي أن تمشي، من دون أي قلق، حتى لو بدا هذا ضربا من الجنون.

ليوفان : كنت أعلم أنك ستتابع طريقك إلى النهاية! ولكن أي طريق؟ هذا ما كنت أجهله.

الأب شارل : (بعد لحظة)

هل خيبت ظنك يا ليوفان؟

ليوفان : (ببطء، ينظر إليه وجها إلى وجه)

لا، أنت تثير حفيظتي قليلا. يثيرني هذا الانتقال المبصر من إفراط إلى آخر...

الأب شارل : «أأنا مبصر»؟

ليوفان : نعم، في هذا العصر، يعتبر الناسك مبصرا، فهو رجل يتخفى ويتهرب من الجماعة. إنه الرجل الذي

		يشار إليه بالبنان (صمت قصير) يمكنني القول إنك كنت مقلدا متحذلقا يا فيريبه!
		هل أنت متأكد من...؟ (يتوقف عن الكلام)
الأب شارل	:	(يبتسم)
		تسأل نفسك ما إذا كان في حالة كحالتي لا يدخل... التحذلق في التواضع[1]؟ ربما. الله لا يتدخل بالتفاصيل: إنه يضعنا جميعا، أبرارا وأشرارا، في حربه هذه. فالحطبة التي نضعها على النار تشعل معها الديدان التي فيها!
ليوفان	:	ألم تجد إذن نظاما أكثر تقشفا وأكثر قساوة لنفسك (الأب شارل يشير لا برأسه) وأخيرا، ما كان سيصبح هناك ملوك لو لم يكن رعاياهم أكثر ملكية منهم!... ولكن أنت تعيش بعيدا عن الكنيسة، مع أسطورتك الشخصية. أنت الضابط، لست سوى قناص...
الأب شارل	:	(بصوت منخفض) قناص في سبيل الله... (يغير من نبرة صوته) اجمع القناصين وزودهم بلباس موحد وبقواعد تنظم عملهم، وهكذا يتشكل نظام نخبة. (بصوت منخفض) ولكن رؤسائي يرفضون أن أكون سعيدا بأن... لا! أن يكون لي شرف إنشاء أخوية (رهبانية).

(1) تحذلق، ترجمة snobisme، وتعني الإعجاب بكل شيء شائع في الطبقة العالية من مجتمع ما.

ليوفان	:	أهي عقوبة الطاعة؟ أنا أيضا أعرف ذلك... ولكن الانتقام الوحيد هو العمل المجنون! وهنا فأنت تخيب أملي يا فيربيه! كنت أعتقد أنك نصرت أقطارا بكاملها، غارسا صليبك في كل مكان...
الأب شارل	:	... ومنظما للأراضي المفتوحة، سيدي الرائد! لا، لم أصل إلى هذا بعد...
ليوفان	:	لوبلان أكد لي بالدليل القاطع أنك تعتبر من المبعوثين الأقل حظا بتنصير الناس (الأب شارل يقوم بحركة تدل على صحة كلامه) إذن؟
الأب شارل	:	أني أؤلف بين قلوبهم... أحضهم على التآخي، أنا لا أعلمهم ولكن أثبت لهم أننا أخوة في الله...
ليوفان	:	لن تحصل على شيء إن لم تجعلهم... يخافون منك، كما قد يقول لوبلان، أما أنا فأقول: إن لم تجعلهم يحترمونك!
الأب شارل	:	وأنا أقول: إن لم أجعلهم يحبوني... دعنا من هذا إذن! أنا أحضر الأرض، وسيزرع آخرون، وسيحصد أناس آخرون. نحن نفعل الخير على قدر أهليتنا لذلك، يا ليوفان؛ يجب أن أجتهد لأجل تحولي الشخصي واهتدائي قبل أن أدعي...
ليوفان	:	(يقاطعه بهدوء)

عزيزي فيربيه العجوز، انظر إلينا وانظر إلى نفسك...

الأب شارل : (مغلقا عينيه، وبصوت منخفض)
أرى نفسي...

ليوفان : لقد اختار الموت مكانه بيننا، وبنى فينا عشه، يا فيربيه! ونهايتنا قد بدأت... لا تضيع وقتك!

الأب شارل : (من دون أن يجيب)
اللهب في بدايته يكمن طويلا! يشتعل ببطء، ولكن الحريق يمتد بلمح البصر!

ليوفان : وهل تعرف أيضا ثمن الوقت؟

الأب شارل : يتعلم المرء ذلك عندما يصلي ست ساعات متواصلة على نحو أفضل مما يتعلمه عندما يستميت في العمل...

ليوفان : إذن قم بذلك سريعا يا فيربيه! السود يبجلونك: كلمة واحدة منك تجعلهم ينضوون بقوة تحت راية فرنسا...

الأب شارل : (بجدية)
ليست هذه مهمتي، ما يهمني هو أن أجعلهم ينضوون تحت راية المسيح.

ليوفان : هذا نفس الشيء.

الأب شارل : (بعناد)
نعم، مادام أن فرنسا تتابع مهمتها! وإذا كانت فرنسا تبحث فقط عن تجنيد العساكر، فإنني أرفض!

ليوفان : (يبتسم)



ماذا؟ تعني أن تكون فرنسا «البنت البكر للكنيسة»؟

الأب شارل : لا، ليس كذلك! بل ببساطة كأم هذه الشعوب الطفولية: كأم تريد لأطفالها أن يساووها، وتقبل أن يتفوقوا عليها يوما ما، إذا كانوا يستحقون ذلك.

ليوفان : (بمرارة)
اشرح هذا إذن للسيد لوبلان!

الأب شارل : (يهز رأسه)
السيد لوبلان ذكي جدا...

ليوفان : جدا ولكن لن يفعل شيئا لأنه تنقصه هذه القطعة الصغيرة من الحب التي من دونها أي عمل إنساني...

الأب شارل : (يقاطعه ويأخذ يده):
ليوفان! أعرف هذا الكلام... أخيرا، التقينا مجددا!

ليوفان : (يبدو عليه الحزن)
أنت تعرف ماذا فعلت. هل تعتقد أني فعلت ذلك بدافع الطموح؟

الأب شارل : (بتردد)
لا، ولكن لم أكن أعرفك بشكل كامل...

ليوفان : (بعد لحظة، بصوت منخفض)
لأنني لم أعد أؤمن بشيء يا فيريبيه! لم أعد أؤمن بشيء!

الأب شارل : (بقوة)
أيها الكافر! من هداك السبيل؟ من أعطاك هذه البداية؟ من أعطاك هذا العطش والجوع للعدالة؟ أليس هو المسيح!

ليوفان : إنه المسيح! يا فيرييه، ولكني لم أعد أعتقد بشيء: هناك الكثير من الألغاز والكثير من المتطلبات...

الأب شارل : كما لو أنك كنت تساوي شيئا ما من دون متطلباتك؟... أيها المسرف! لقد أخذت حصتك من الإرث ورحت تفتح العالم!... اذهب فإن الآب[1] سوف ينتظرك حتى آخر لحظة...

ليوفان : (بانفعال)
شارل، شارل...
(يتعب الأب شارل ويحاول الجلوس، إنه يعاني صعوبة في التنفس)

ليوفان : (بقلق، ينحني نحوه)
ماذا بك يا صديقي؟ هيا!...

الأب شارل : (بصعوبة)
لقد تكلمت في هذه الليلة أكثر مما فعلت خلال شهور طويلة... أنا منهمك... يا للحماقة...

ليوفان : الحماقة ألا تعتني بنفسك! شويتزر قلق من هذا الأمر...

(1) الآب، ترجمة Père، وتعني في لغتهم (أو في عقيدتهم) الرّب، وهو يرددون في صلاتهم اليومية «أبانا الذي في السماء...».



الأب شارل : (يكشف عن يديه وساقيه)
انظر إلي يا لوفان! من أي عرق أنا! من أي سلالة! الأشجار تموت واقفة! وإذا نمت فأعلم أنهم قطعوني...

ليوفان : (يحاول أن يلاطفه)
لن تترك وظيفتك، ملازم فيرييه! أنت سفير الله في هذا البلد الأوسع من فرنسا!

الأب شارل : هناك رجلان لهذه المهمة: شويتزر وأنا، رجلان لا ينفصلان ولا يتصالحان، كالروح والجسد... كل إنسان لا يمثل أبدا سوى نصف السيد المسيح، وكل إنسان لا يملأ إلا نصف قدره...

ليوفان : (بعد لحظة)
نصف قدره، في كل المجالات؟

الأب شارل : (بحدة)
في كل المجالات.

ليوفان : (بتردد)
وهكذا، فيرييه ما أطلبه منك هو شيء خطير! هل يستطيع رجل مثلي الزواج؟

الأب شارل : لقد فعلت ذلك منذ خمسة وعشرين عاما يا ليوفان! لقد تزوجت طموحك، وأنت ترى أطفالك وهم يكبرون: مدن، ودول بأسرها!

ليوفان : (بحدة)

لا، لا! أقصد عائلة حقيقية! أن أرى أطفالا حقيقيين وهم يكبرون!

الأب شارل : (بهدوء)
أخاف ألا يكون ذلك ممكنا، يا ليوفان، يجب أن تختار...

ليوفان : الاختيار، يعني التضحية! وإذا لم أكن أريد ذلك؟...

الأب شارل : إذا فالأحداث تختار بدلا منك، يا للخزي!...
(في هذه اللحظة يدخل شويتزر وحيدا من الباب الخلفي)

المشهد العاشر

ليوفان : (يوجه كلامه لشويتزر بحيوية)
أين الآخرون؟

شويتزر : (بجفاء)
إنهم يجردون مخزن الأدوية، ولكن مخزن المال كارثي أكثر منه!

الأب شارل : ما العمل؟

شويتزر : جرت العادة أن نقوم بجولة من المحاضرات وحفلات الأورغ في العواصم الأوروبية والعودة بمائتي صندوق من الأدوية... ولكن السيد لوبلان يدعي أنه في هذه المرة ليس لدي الوقت حتى لأتنقل من منطقة إلى أخرى!

الأب شارل : بسبب الحرب؟

شويتزر : أجل الحرب!

ليوفان : (بسخط)

كما في كل صيف منذ أربع سنوات! إنها نفس الدورة: أزهار الربيع، وزنبق الوادي، والسنونو، ثم الكرز، فالحرب...

شويتزر : حتى هنا حيث الفصول مشوشة، تبقى الحرب المخلصة الوحيدة!

(صمت) أيها الرائد هل تعتقد (يتردد بالمتابعة) أن الألمان سيقومون بتجنيد الألزاسيين؟

ليوفان : ضد فرنسا؟ لهم الحق بذلك.

الأب شارل : (لكي يكسر الصمت)

أولم ينفد صبرنا بشدة بصدد هذه الحرب يا ليوفان، عندما كنا معا في المدرسة[1]!

(ليوفان يهز كتفيه)

شويتزر : (ينظر إليه ويجبر نفسه على الابتسام)

الآن لم يعد العسكريون يحبون الحرب!...

الأب شارل : (بهدوء)

هل أنت تحب المرض دكتور؟

شويتزر : أنا لا أحبه ولكن في النهاية هو ليس من اختراع البشر.

ليوفان : (ببطء)

---

(1) يشير الأب شارل هنا إلى مدرسة سان سير Saint-Cyr العسكرية. انظر الفصل الأول، المشهد 3 والمشهد 8.

لنكن عادلين، الحرب تعد في رصيدها من الأبطال ما يفوق عديدهم زمن السلم...

شويتزر : نعم، وهناك أناس لم يكونوا أكثر جمالا من لحظة وجودهم على سرير الموت!

الأب شارل : إنه الفخ الكبير، الرجال المتحاربون هم في سلام مع الله...

شويتزر : أعرف ذلك (بعنف) ولكن عندما نحب شخصا ما نحب حتى أخطاءه وعندما نكره شخصا ما نكره حتى الصفات التي يمتاز بها (ببطء) وأنا أكره الحرب.

الأب شارل : أنت كطبيب، وأنا ككاهن، وليوفان إذا لم نقل كعسكري، كبناء، على الأقل...

شويتزر : إذا تركت المشفى لكانت دودة الخشب دمرت غرفه الثلاثين بزمن أقصر من الزمن الذي استغرق إنشاء كل واحدة منها!

الأب شارل : إذا تركنا هذا البلد يعود فورا إلى أوثانه وأضحياته البشرية...

ليوفان : (يقاطعه)

أما أنا فلن أفقد إلا مخططاتي وآمالي (بصوت منخفض) ولكن أليس هذا حقا أشد قسوة؟

الأب شارل : الدمار أم الفاقة؟

شويتزر : أيهما أقسى أن تفقد ولدا أم أن تفقد الأمل في أن يصبح عندك ولد للأبد؟



ليوفان : (بعد صمت يغير من نبرة صوته)
دعونا من هذا، فالحرب لم تأت بعد ولا سيما أننا نتحدث عن أفكارنا في الحاضر وعن أعمالنا في المستقبل! في زمن الحرب يتصرف الإنسان بالحاضر ويتكلم بالماضي...
دعونا نستفد جيدا من ساعات القلق والتردد هذه وهذا ما يمكن أن ندعوه السعادة...

شويتزر : (بعد صمت)
أيها الرائد، أنا محكوم هنا بالعيش على الشائعات، هل أستطيع الاعتماد عليك إذا...
(لا ينهي كلامه)

ليوفان : غدا سأرسل إليك من يحمل إليك الأخبار الصحيحة وإذا كانت خطيرة فسأكون هنا بنفسي مساء!

الأب شارل : سأبقى هنا يا شويتزر، بعد إذنك. منذ زمن طويل وعدت بزيارة بعض مرضاك.

شويتزر : عظيم! أستطيع أن أخضعك للنظام الطبي وستذكرني بإعطائك الأدوية التي وصفتها لك، أليس كذلك؟

الأب شارل : ولكن أنت تعاني من نقص في الأدوية!

شويتزر : هيا، هيا، تعالوا من هنا...
(يجره باتجاه مكتبه والصيدلية الصغيرة التي يبحث فيها عن القوارير والأنابيب، وبعدها بقليل تدخل ماري وفي يدها حزمة من الورق، ومن ثم لوبلان.

تتجه ماري نحو الدكتور شويتزر، ولوبلان يتجه نحو ليوفان الذي بقي لوحده في أقصى اليسار).

المشهد الحادي عشر

نفس الشخصيات، ماري و لوبلان

ماري : (تعطي الأوراق لشويتزر)
هذا هو الجرد يا دكتور.
(يتفحصان معا الأوراق، في حين يدرس الأب شارل بحذر العلاجات التي وصفها له شويتزر)

لوبلان : (يتحدث إلى ليوفان بصوت منخفض)
تهانينا يا ليوفان لقد فزت. ولكن هل يجب أن نهنئ الذي يغش عندما يفوز؟

ليوفان : (بتعال وبصوت منخفض)
كيف؟
(في هذه اللحظة، يتعالى صوت غناء محلي حزين جدا. يستدير الجميع نحو الباب الخلفي)

ماري : (ترتجف وتسأل بصوت مرتبك)
ما هذا؟

شويتزر : (بنبرة حاسمة)
صمتا! (يصغي للحظة، الصوت يبدو أكثر وضوحا)، لا آنسة ماري، ليس هناك ما تخشينه! (يشرح للآخرين) عندما يموت أحد مرضانا، تغني عائلته



لحنا حزينا ولكن هذا ليس ذلك اللحن...

لوبلان : (يتحدث إلى ليوفان بصوت منخفض)

تحدّثت لتّوي على انفراد مع الآنسة ماري، لقد سبقتني بذلك!

ليوفان : (نفس النبرة)

وهل أخفيت ذلك عنك؟

الأب شارل : (يفتح الباب الخلفي) ذاك اللحن كان يصدر من النهر.

لوبلان : سفن في هذه الساعة؟

شويتزر : إذا كانوا يبحثون عن المشفى، فالمصباح موجود في محطة المراكب كالعادة!

ماري : (تذهب لتنظر من الباب الخلفي)

لا، لقد نسيه بونزو هذا المساء سأذهب لإشعاله...

(تأخذ أحد مصابيح الغرفة وتهم بالخروج)

الأب شارل : (يوقفها)

سأقوم أنا بذلك! من يبقى طوال الليل في المشفى عليه أن يقوم بعمل ما، دعي لي هذا العمل البسيط!

(يأخذ المصباح من يدها ويخرج. يتضح صوت الأغنية ثم يتوقف بعد وقت قصير)

شويتزر : (لـ لوبلان)

هل ستقضي هذه الليلة أيضا هنا سيدي الحاكم؟

لوبلان : لا شكرا! بالتأكيد ليس هذا المساء.

شويتزر : لكنك ستأتي في ضوء النهار...

لوبلان : كالأحداث!

ليوفان : هل تؤمن بذلك حقا هذه المرة يا لوبلان؟

لوبلان : هذه المرة، نعم.

شويتزر : والسكان المحليون يعتقدون ذلك أيضا! الغابة بكاملها مضطربة...

ليوفان : لأننا نحن أنفسنا مضطربون بشدة! (يتحدث إلى لوبلان) فلندخل معا يا لوبلان: عند الفجر ربما لن نبقى تماما كما نحن... هيا تعالوا.

لوبلان : لا، يا ليوفان، ليس لنا ذات السرعة... (يتحدث إلى شويتزر) غدا سأرسل لك ثمر الكينا وبعض الشراب، أو بالأحرى سأحملها لك بنفسي.

شويتزر : ستحضرها بنفسك؟ لا بالتأكيد! ليس هذا مهما إلى هذه الدرجة!

لوبلان : (ينظر إلى ماري)

إن لذلك أهمية كبيرة بالنسبة إليّ (يقوم بحركة دائرية) طاب مساؤكم!

(يخرج)

شويتزر : سأرافقك.

(يخرج بدوره، ليوفان وماري، يبقيان لوحدهما. تذهب ماري إلى باب الجهة اليمنى بسرعة، ولكن ليوفان يوقفها)

ليوفان : ماري!

ماري : (بصوت منخفض)
غدا...

ليوفان : لا أريد أن أعلم بقرارك عن طريق لوبلان! لا أحب لعبة المرايا هذه!

ماري : (تخفي وجهها بيديها)
وأنا أريد أن أبقى وحيدة، وحيدة!

ليوفان : (بهدوء، بعد صمت)
بالعمل، وفي وضح النهار، تأتيك المشورة وليس في الليل. إلى مساء الغد، ماري.

شويتزر : (يظهر على العتبة، وهو ينظر في الظلمة)
ها هو الأب شارل قد عاد (يتحدث إلى ليوفان الذي يخرج) سأعتمد عليك في حال...

ليوفان : بالتأكيد.

(يخرج، يسمع وهو يصرخ «مساء الخير فيرييه»، ثم «قفوا يا أولادي، سننطلق!» يظهر الأب شارل على العتبة، لاهثا قليلا)

الأب شارل : تعال شويتزر: هناك سبعة أشخاص في قارب واحد، يفترض أنهم جاؤوا من بعيد: فهمت بصعوبة لغتهم (صمت قصير) يبدون كالوحوش يا شويتزر!

ماري : ماذا!

الأب شارل : تغطي وجوههم الأورام الكبيرة، وليست لهم أبدا أشكال بشرية. هذا المركب الذي يبحر في الليل مملوء بحيوانات لها نظرات بشرية. أمر في غاية الفظاعة!

شويتزر : (بهدوء)

بل هو أمر شائع! (لقد عالجت أوراما تزن عشرين كيلوغراما هنا) إن أفريقيا تشبه أوروبا عندما ننظر إليها بالمجهر، والجحيم هو الحياة التي ينظر إليها بالمجهر.

ماري : (بصوت منخفض)

السماء أيضا وفق ما أعتقد!

شويتزر : غدا سأعالجهم جميعا.

الأب شارل : السبعة جميعهم غدا!

شويتزر : لا يوجد سبب أن يتعذب أحد منهم يوما أكثر من الآخر. لا تقل لي أن الرب يريد ذلك يا أب شارل! سوف أستقبلهم، طاب مساؤكم.

(يخرج)



ماري : (بعنف)

الرب! الرب! ولكن هذه العذابات، هذه الفظائع،

ولكن الحرب تشهد ضد الرب! فبماذا يجيب؟

بماذا تجيبان أنتما؟

الأب شارل : ربما سترزقين بأطفال يوما ما وسيتعذبون أمام عينيك وستكونين من دون سلاح، وسينظرون إليك كما تنظرين إليّ الآن، فبماذا ستجيبين؟

ماري : أن تهب الحياة يعني بالضبط أن تكون مجنونا كالرب!

الأب شارل : «أن يكون المرء مجنونا كالرب»... لتكن هذه صلاتنا هذه الليلة. طاب مساؤك آنسة ماري.

ماري : ولكن أين سننام؟

الأب شارل : هناك على الأرض، أمام النافذة. سأنام تحت النجوم كما يفعل الرعاة والمجوس.

ماري : متى سيحل عيد الميلاد؟ (تأخذ بشكل آلي ورقة من المفكرة الجدارية وتقرأ بصوت عالٍ) اليوم هو الثاني من أغسطس (آب) ١٩١٤... مازال عيد الميلاد بعيدا!!

الأب شارل : (بقوة)

لا! إنها معجزة المسيح: يمكن أن تتحقق يا ماري، يمكن أن ننجو ونعيش من جديد في أي لحظة. بالنسبة إلى الرجال كل يوم هو عيد الميلاد.



(في هذا الوقت يسمع صوت قرع الطبول. الأب شارل وماري يتأهّبان للاستماع ثم ينظران إلى بعضهما بصمت. تقوم ماري بحركة تدل على خور قوتها وتتجه نحو باب الجهة اليمنى. يقوم الأب شارل بالتصليب ثم يجلس على ركبتيْه ويدير ظهره للجمهور)

في حين ينزل الستار ببطء.

الفصل الثاني

الديكور نفسه. الليلة التالية نحو الحادية عشرة صباحا. قبل أن يرفع الستار يسمع قرع طبول بعيد.

المشهد الأول

ماري : (تستدير إليه بعد صمت)
أتريد فعلا أن أجيبك؟

لوبلان : لا، فقط أريد أن أعرف لماذا لا تجيبينني!

ماري : لا أريد اللعب في جزيرة مهجورة.

لوبلان : وماذا يعني ذلك؟

ماري : يعني أنني المرأة البيضاء الوحيدة هنا، فهل ستنتظر إلى واحدة أخرى؟

لوبلان : أتحبين الشجار؟

ماري : بل الاختيار (لوبلان يبتسم) افترض أنني مغرورة.

لوبلان : (بهدوء)
ولكن أنت فعلا كذلك.

ماري : (بحدة)
وكيف عرفت ذلك، وماذا تعرفون عني كلكم؟

لوبلان : الكل؟ أنت تتحدثين معي وحدي يا ماري. لقد سرت لمدة خمس ساعات متواصلة لأصل إلى هنا وأراك وحيدة. (صمت، ثم يتابع بهدوء) أنا أضع العالم في كفة وأنت في كفة أخرى...



ماري : (تبتسم)
افرض أني أنانية!

لوبلان : (بدهاء)
أنت فعلا كذلك.

ماري : مغرورة، أنانية، أنا أستغرب من سيرك لخمس ساعات في الغابة من أجل...

لوبلان : (بنفس اللهجة وبهدوء)
لأنك أنت من أحب: كما أنت، وكما أنا...

ماري : (بقساوة)
كما تريد أن تبدو وكما تعتقد أنني...!

لوبلان : (بصوت منخفض كوني بسيطة إذن! إن وقتنا ضيق...

ماري : (تتابع)
المرضة ذات القلب الكبير والمرأة التي تخلت عن كل شيء لتعتني بالسود، هذا مؤثر، أليس كذلك؟

لوبلان : بل استثنائي.

ماري : وهل هذا يثير فضولك؟

لوبلان: (بعد صمت قصير)
نعم، لأنك لا تبدين سعيدة بهذا العمل، فالذين يرتكبون الحماقات الكبيرة يبدون سعداء، وإلا...

ماري : وإلا ماذا؟

لوبلان : (ينظر إلى وجهها)



على الأرجح ليس هذا العمل إلا حسابا صغيرا.

ماري : (تضحك قليلا)

هكذا تفكر بي إذن؟

لوبلان : تخيلي لو أنك تعرضت لإحباط في أوروبا، أعتقد أنك صادقة لدرجة عندما تستعين للظهور بمظهر لائق، ومعتزة بنفسك لدرجة تدفعك لإنقاذ كرامتك.

ماري : حتى وإن سافرت إلى نهاية العالم؟

لوبلان : ربما ستخفين هذا الهروب وتجعلين منه قدرك.

ماري : (بعنف وبعد صمت) ولو أن ذلك هو ما حصل فعلا؟

لوبلان : كنت سأحبك أكثر.

ماري : (بسخرية)

أعرف ذلك : في كل رجل هناك شخص يعزيه!

لوبلان : أن أعزيك؟ لا : أنت لست من النوع الذي ينسى، ولكن من النوع الذي يتغاضى عن كل شيء.

ماري : (بنفس اللهجة)

هل هي عزة النفس دائما!

لوبلان : (بمرارة)

ولهذا فأنت تفضلين الرائد ليوفان... ربما أنك تفضلين معانقته على أي رجل آخر!

ماري : (تحاول مقاطعته)

أنت لا...



لوبلان : (يتابع)

كان شويتزر حجة ولكن ليوفان!...

ماري : (بجفاء)

أنت لا تنسى إلا هذا: أنا أحب الرائد ليوفان.

لوبلان : (مجروحا)

إذن، فأنت معجبة به! إنه يجذبك! لا يحب الحديد المغناطيس! (صمت) أنا أحبك يا ماري. أحيانا أتوقف عن الكتابة وأنظر إلى الساعة وأفكر: «في هذه اللحظة ربما أنها تتجه نحو النهر» أو «ربما أن يدها الطويلة تمسح جبهة أحد المرضى» (يخفض صوته) منذ سنة وأنا أقول لك مساء الخير قبل أن تنامين.

ماري : (متأثرة)

ولكن... ماذا لو أنني لا أحبك!

لوبلان : (بسرعة)

أنا لا أطلب منك أن تحبيني! (ببطء) ولكن فقط أن تستيقظي، أنت تعيشين كالسائر في نومه بين التماثيل: شويتزر، فيربيه، ليوفان... أنت لا تعرفين حتى ما معنى الكائن البشري، افتحي عينيك!

ماري : (تحاول أن تمزح).

مع ذلك هذا المكان هو المكان الأكثر إنسانية في أفريقيا والكل يعرف ذلك!

لوبلان : مكان لا تستطيعين أن تنادي أي شخص باسمه إلا الخدم... مكان بلا أطفال!

ماري : (تضحك وتشير إلى باب الجهة اليمنى)
بلى هناك طفل مريض...

لوبلان : هل تحبينهم يا ماري، هل تحبينهم! إذن فانتبهي: الرجال العظماء ليس لهم أطفال، ويحبون ما يسبّب لهم الألم ويخلفهم بعد موته. لكنها كتب، وقوانين. هل تشكل السيدة شويتزر وابنتها جزءا من هذا المشفى؟

ماري : أنت لست عادلا!

لوبلان : نعم، أنا منذ دقيقة وأنت منذ سنة...

ماري : (تبتسم)
لأنني لا أحبك؟

لوبلان : لأنك تقولينها وأنت تبتسمين.

ماري : ولكن...

لوبلان : (يتابع)
لأنك تعتقدين أنني ألعب في جزيرة مهجورة بقدومي إلى هنا بكل إخلاص! (بهدوء) ولكن، ماري كنت أستطيع الرجوع إلى فرنسا منذ شهور، فرنسا ليست جزيرة مهجورة.

ماري : اسمع...

لوبلان : (بحزم) لا، في هذا المساء أنت من يجب أن تسمع!



(أكثر هدوءا) وأرجوك أن تتخذي قرارك هذا المساء، قبل أن تخرب الأحداث كل شيء بضوئها المسرحي وقبل أن نصبح ممثلين تحتسب عليهم كل كلمة من كلماتهم وكل حركة من حركاتهم.

ماري : وما أهمية مشكلتنا بوجه الحرب؟

لوبلان : نعم، ماذا تستطيع أن تفعل شجرة بوجه حريق (صمت). إنني أحتفظ بظرف مغلق لا يحق لي فتحه إلا بحالة الحرب. ربما سيجعل مني إما شجرة حية وإما خشبة للحرق.

ماري : هل الرائد ليوفان...؟

لوبلان : ... هل تلقى هو أيضا أوامر سرية؟ من دون شك ولكن ما علاقتهم بقرارك، هل تعتقدين أن الحرب هي منافس حقيقي لك!

ماري : (بحيوية)

إطلاقا!

لوبلان : (يأخذها من معصمها)

آه! ماري! لست أنت من تقع في هذا الفخ، في هذا الفخ الطفولي...

ماري : (تهز كتفيها)

وهل الحرب طفولية؟

لوبلان : نعم، صورة شعبية صورة إبينال[1]: ألوان عنيفة

---

(1) ابينال Epinal: متحف التصوير الشعبي.



جدا تسقط دائما على هامش الرسم! الحرب تغيّر كل شيء. لا شيء سوى أبطال وخونة! يا لها من ميلودراما[1]!

ماري : (بسخرية)
لأنني يجب أن أحذر من الأبطال أيضا؟

لوبلان : نعم، وحتى من أولئك الذين يعجبون بهم: إنهم يسمون الأشخاص الذين يقبلون أن يموتوا بدلا عنهم أبطالا. (صمت، بنبرة مختلفة) أنا أحذرك من كل ما لا يرقى لمستوى الإنسان يا ماري! أنا ضد كل ما ينفي السعادة أو يطردها!
ماري (ينظر إلى وجهه جيدا):
إذن فأنت تؤمن بالسعادة؟
لوبلان (بعد صمت، وبصوت منخفض):
لا أعرف ذلك... لقد تربيت بشكل جيد، لقد فعلوا كل شيء ليجعلوني أكرهها! ولكني أريد المحاولة ولو لمرة واحدة، وستكون معك (يأخذ يدها) أعطني يدك!

ماري : (تمد يدها وهي تبتسم)
سأعطيك يدي، ولكن لا أستطيع أن أعدك بكسب ودي! (صمت) عندما يسألك الدكتور شويتزر والأب

(1) ميلودراما: مسرحية شعبية غنية بالمواقف المؤثرة والأحداث المفاجئة، وتعتبر من الأنواع الدرامية غير المحكمة. واضح أن لوبلان يتحدث بسخرية عن الحرب.



شارل عن سبب عودتك هل ستجيبهم بهذا؟ هل ستقول لهم إنك أتيت إلى هنا لإقناع امرأة شابة، تعيش في غابة لا يمكن العيش فيها، وفي اليوم الذي يمكن أن تعلن فيه الحرب، بأن السعادة موجودة؟

لوبلان : (يغير من نبرة صوته).
لا، ماري لقد جئت لأفرض حماية مسلحة.

ماري : سيستقبلك الجميع بشكل جيد!

لوبلان : أشك في ذلك! من الخطر الظن أننا نملك العديد من الأصدقاء بحيث يظن المرء أن لا أعداء له. شويتزر والأب شارل ينسيان أن السحرة الكبار كانوا يحكمون هذه الغابة حتى مجيئهم.

ماري : ماذا! هذه الحيوانات المضحكة ذات الريش!

لوبلان : نعم، الطيور الجارحة! والتي تشم رائحة الدم الذي لم يرق بعد. هل سمعت قرع الطبول وهذه الصرخات طوال النهار؟ الحرب تطلق هذه الحماقات قبل أن تبدأ وهذا ما يجعلها أخيرا شيئا لا يمكن تجنبه.

ماري : أتمنى ألا تكون «الحماية المسلحة» هي من يفعل ذلك! (صمت) ولكنك لم تفكر في هذا الأمر: كل الغابة تحب الطبيب الأبيض، والرجل الذي أرسل لقتل الأب شارل ركع أمامه طالبا أن يباركه!

لوبلان : اسمعي! في إحدى المرات أيام طفولتي رأيت كلبا مصابا بداء الكلب. لقد كان رفيقا لطيفا: في الليلة



السابقة كنت قد داعبته قليلا. وبدأ يلحس وجهي، وفي اليوم التالي... (يقطع الحديث. صمت) لن أنساه أبدا!.

ماري : اروي ذلك للدكتور، ربما أنه سيلقحك!

(يدخل شويتزر والأب شارل من باب الجهة اليمنى)

المشهد الثاني

ماري - لوبلان - شويتزر - الأب شارل

شويتزر : (يذهب إلى لوبلان)

سيدي الحاكم وجودك هنا يطمئن الجميع.

ماري : (بصوت منخفض)

لا تصدق ذلك.

(تجلس بالقرب من المكتب وترتب الأوراق، وتتكلم بجرأة)

شويتزر : (يتابع)

من الصعب جدا إجراء عملية لسبع ساعات متواصلة على صوت قرع طبول متواصل وغير مفهوم!

لوبلان : ومع ذلك فالأمور واضحة: «البيض جاؤوا إلى هنا ليمنعونا من أن نتقاتل، والآن سوف يتقاتلون فيما بينهم!...».

شويتزر : على بعد آلاف الكيلومترات!



الأب شارل : هذا غير مهم! فالأطفال الذين يتشاجر آباؤهم كل يوم، لا تستغرب أن تراهم وهم يتشاجرون!

ماري : السيد لوبلان يطرح علينا فكرة أن تحرس المشفى مجموعة من الجنود.

شويتزر : (يطلق ضحكة قوية، كما يفعل الأب شارل أيضا ولكنه يسيطر على نفسه أخيرا ويقول بغموض): اعذرني، ولكنني أستغرب فكرة وجود جنود مدجّجين بالسلاح أمام كل قسم من أقسام المستشفى... (صمت) لم أضحك منذ هذا الصباح...!

لوبلان : (بجفاء) أنا سعيد جدا لأنني عبرت الغابة لأحمل لكم لحظات سعيدة.

شويتزر : لقد أسأت إليك... سامحني.

لوبلان : بكل جدية يا دكتور شويتزر، تقديم الخد اليسار بعد الخد اليمين ليست حكمة متوافقة مع الاحتلال الاستيطاني.

شويتزر : (واضعا يده على ذراع لوبلان) والأكثر جدية من ذلك سيد لوبلان أن يحميني حرس خوفا من السكان المحليين، هذا ما لا يتوافق مع كل حياتي.

لوبلان : أفهم ذلك جيدا. ولكن ماذا لو هاجمت جماعة من المتعصبين المشفى (يستدير نحو الأب شارل) أو مكان عبادتك...



شويتزر : (يبتسم) سأدافع عن نفسي بأسلحتي الخاصة!

لوبلان : (يهز أكتافه)

أنتم عبارة عن رعاة لا يؤمنون بوجود الذئب، وأنا الكلب الذي ينبح، وأنتم تسكتونه. سحقا لنعاجكم إذن.

شويتزر : (يبتسم)

بين الكلب والذئب... بين الكلب والذئب، هناك الإنسان! وأنا أثق بالإنسان.

الأب شارل : مكان عبادتي مفتوح ليلا ونهارا منذ سنتين: مفتوح للأفاعي، والحيوانات، وللإنسان.

وعندما يحظى الإنسان بالله فيجب ألا يضعه وراء الأقفال يا سيد لوبلان[1] (صمت) ومن جهة أخرى... (لا يكمل حديثه)

ماري : (بهدوء)

وماذا من جهة أخرى؟

الأب شارل : (مرتبكا)

لا شيء...

لوبلان : (بعنف)

هل تريدني أن أكمل حديثك؟ «إذا هاجم المتعصبون القربان المقدّس الذين بحوزتي سأدعهم يقتلونني

(1) يرجع الأب شارل إلى التوراة في هذه العظة: «لا تحجب نورك بأن تخفيه وراء أكمة» وهو نور الهداية الربانية يترجمه المؤمن فعل إحسان وإرشاد إلى سواء السبيل.



وأنا مبتهج» أهذا ما تريد قوله؟

الأب شارل : (بنفس اللهجة)

نعم.

لوبلان : هذا لا يحل شيئا ولا يفيد بشيء. إلا إذا كان ذلك يؤمن لك خلاصك الشخصي ومجدك الخالد!

نحن نعيش على الأرض مع همومنا الخالدة أيضا! مثلنا مثل يهوذا[1] المسكين، وبيلاطوس[2] المسكين وكوشون[3] المسكين، الذين كرسوا حياتهم منذ الأزل لعملهم المروع ولدورهم المقيم لآخرين! ما من شهداء من دون جلادين: ولكن الموت، الندم ووحدة الجلادين، هي شهادة مخيفة بوجه آخر! هل سبق وفكرت في هذا أحيانا؟ لا بد من كهوف ظلماء منتنة لتشكل أساسا لكنائسكم الأسقفية الشامخة!

الأب شارل : لا سيد لوبلان، إذا لم ينقذ الشهيد جزاره معه، لن يكون في السماء، تأكد من ذلك! (صمت، يغير لهجته) وبالنسبة إلى موتنا فهو الشيء المهم الوحيد الذي يخصنا، دعه لنا!

لوبلان : بالتأكيد لا!

شويتزر : (يبتسم)

موتنا مرتبط بالدولة يا أب شارل، فمثلا لاحظ في

(1) يهوذا: أحد تلامذة المسيح الاثني عشر والذي سلمه لليهود مقابل ثلاثين قطعة فضة ثم دفعه الندم إلى شنق نفسه.
(2) بيلاطوس: هو حاكم يهوذا، في عصر الملك تيرودوس الروماني وهو الذي حكم بصلب المسيح.
(3) كوشون: مطران فرنسي، ولد في نيم، اكتسب شهرة لترؤسه المحكمة التي حكمت على جان دارك.

الريف عندما ينتحر شخص ما، يستدعون العسكر، كما لو أن شخصا ما فر من الجيش!

لوبلان : وفي المدن يستدعون الإطفائيين: تماما كما لو أن هناك كارثة! ربما أن هذا مثال سيئ. الدولة تحب الأموات الذين يفيدونها ولكنها تخاف من الأموات النموذجيين...

ماري : وأنت؟

لوبلان : (يستدير نحوها)
أنا؟ بالنسبة إلي أسهل من هذا بكثير! أنا أكره الموت السهل، المستخدم والمحسوب، وأنا أجده مذلا. ولكن عندما يكون غير مفيد، ومجانيا وطوعا أقبله راضيا. يمكن أن يكون ذلك بسبب عزة النفس...

الأب شارل : (ببساطة)
لا تشك في ذلك!

لوبلان : ومع ذلك ألا توجد فائدة من أن يتاجر المرء بموته؟ أن يقدّم موته كما يفعل المسيحيون، مقابل كذا وكذا؟!

الأب شارل : أنت تجسد بالضبط ما يقوله الإنجيل يا لوبلان: «ينزع من الشخص الذي لا يملك شيئا كل ما لديه...» (يضع يده على صدره) هذا النفس وهذه الحياة هي كل ما أملك، دعني أقايضها إذا لم توافقني على أن ألغيها!

لوبلان : أن تقايضها مع حياة الدكتور، على سبيل المثال؟



الأب شارل	:	(ببساطة) بالتأكيد.
شويتزر	:	(بحيوية) أبدا يا أب شارل! لا تفتح هذا الموضوع مرة أخرى! أنت نافع مثلي.
الأب شارل	:	ولكن يسهل تعويضي بشخص آخر فالكنيسة تفيض بالمجانين أمثالي، أما المجانين أمثالك فهم قليلون يا شويتزر...
لوبلان	:	أنتما الاثنان طيبان، إذا حافظتما على حياتكما فهذا أسهل بكثير! لقد سخرتم من اقتراحي للتو وأنا الآن أسخر من تجارتكم هذه مع السماء.
شويتزر	:	هل أنت مسيحي يا لوبلان؟
لوبلان	:	في فرنسا، يكون المرء مسيحيا كما يملك الأحصنة، وكاثوليكيا كما يكون أسمر، إنها الأغلبية العظمى، وبروتستنتيا كما يكون أشقر، وهذا يتبع للمنطقة في فرنسا الذين يغيرون دينهم يعرفون كمن يضع شعرا مستعارا أو يصبغ شعره!
شويتزر	:	(يبتسم) ليست هذه هي الإجابة التي كنت أنتظرها منك عندما سألت...
لوبلان	:	إذا كنت مسيحيا؟ (يوجه كلامه للأب شارل) فهمك كفاية يا أب شارل. إيماني قليل جدا لأعتقد بهذه



الوعود وبهذه الرهانات وبهذه المطالب التي تحكم العلاقات بينكم وبين الله... هذا السوق الذي تتصرف فيه بالتراضي وتتكلم باسمك واسم الغيب! يا له من عرض مقماق[1]! (يشير إلى السماء) أنتم تلبسون السماء إما لباس الغضب وإما لباس التسامح، وفق الوقت... أنا أخجل أن ألعب مع الله كما ألعب مع دمية!

شويتزر : هناك شيء من الحقيقة فيما تقول. ومع ذلك سأحاول شرح ذلك بعبارات أكثر تسامحا، وسيبدو لك هذا طبيعيا وستنفعل له بالتأكيد.

لويلان : أنا مع دين للراشدين: «كل شخص لنفسه والله للجميع».

شويتزر : على العكس تماما: كل شخص للجميع والله لنفسه...

الأب شارل : (بهدوء) لا شويتزر: الكل للكل والله للكل!

لويلان : (فجأة وبعد صمت)

حسنا! ماذا لو أثبت لك أن الله غير موجود وأن الإنجيل ما هو إلا من إبداع شاعر وأن المسيح ما هو إلا دجال! وسأقدم لك الدليل القاطع! ماذا كان سيغير هذا في طريقة حياتكم؟

(1) مقماق: متكلم كان صوته يخرج من بطنه؟



الأب شارل : لا شيء!

شويتزر : (بعد لحظة) نعم لا شيء.

لوبلان : إذن فأنتم لستم شرفاء!

الأب شارل : كأنك تطلب مني أن أمشي على رأسي عندما تبرهن لي أن الأرض كروية! أقنع إذن طفلا حديث الولادة بأن الحليب لا يلزمه! (صمت) أنت تعرف السبل التي سلكت في حياتي يا سيد لوبلان... أعرف الآن ما يناسبني!

لوبلان : ولكن من يضمن لك أن الآخرين...؟

شويتزر : على كل حال فسواء وجد الله أم لم يوجد إن وجه الإنسان الذي يتألم هو نفسه، وهو يعصر قلبي. يعصر قلبي أيضا اللباس الأسود لطفل يتيم، والعيون المنتفخة لعامل يخرج من المعمل ويلقي بجسمه المتعب على رصيف محطة القطار كحقيبة الأشياء، والرجل العجوز المتزين الذي يختار غريزيا كرسيا قديما، ويجلس على طرفه وينتظر أن يستقبل... آه يا لوبلان! كم أتألم للناس الذين لا يمتلكون الدفاع عن أنفسهم! يجدونني دائما من دون دفاع...

لوبلان : هذا لأنك ترى المسيح فيهم.

الأب شارل : حتى لو لم يكن المسيح سوى ذلك المشعوذ الذي كنت تحدثني عنه. يكفي أنهم ضربوه، وأدانوه، وصلبوه: آخذه بين ذراعي، أخي الكبير البائس...

لوبلان : أنت لم تعد تحبه!

الأب شارل : بل لم ينقص من حبي له شيء!

شويتزر : (بعد صمت)

في طفولتي، كان هناك يهودي يجتاز مدينة غونسباخ بعربته، كان خافض الرأس دائما كحماره. والأطفال الذين كنت واحدا منهم، كانوا يتبعونه مرددين اسمه الذي مازلت أتذكره: «موشيه، موشيه!» وكنا نسخر منه. في إحدى المرات اقتربت منه لأشده من معطفه، وأن أتلفظ بإحدى الحماقات، ورأيت وجهه يا سيد لوبلان. إنه جرح في نفسي لايزال يؤلمني...

الأب شارل : لهذا أنت هنا يا شويتزر، لهذا يجد كل واحد منا، طيبا أم شريرا، نفسه إما في السماء أو في الجحيم: لأن طفلا بعيون خائفة يدفعه من الخلف: إنه اليهودي موشيه هو الذي تعالجه هنا...

شويتزر : إنه اليهودي موشيه، والزنجي البرونزي الذي يستعبده الأميرال بريا، والحصان الأعرج الذي سيق إلى مذبح كولمار...

لوبلان : (يصرخ فجأة)

لن يشفوا أبدا!

شويتزر : وأنا أيضا.

الأب شارل : (يتحدث إلى لوبلان)

هل تعتقد أن العبودية التي ألغيناها ستنتهي في



هذا البلد؟ أنت تتخلص منها كل يوم ومع ذلك تظهر بشكل جديد! هل أنت محبط من هذا الأمر؟

لوبلان : (بحيرة)
أنا فقط أقوم بوظيفتي كإنسان.

شويتزر : ولكن هذا يزيد على وظيفتك الإنسانية. ماذا تسمي هذا؟ ومن أين يأتي؟

لوبلان : (من دون أن يجيب)
التخلي عن المتابعة يعني إحباط الآخرين سلفا قبل أن يبدأوا عملهم!

ماري : (بهدوء)
ولم لا نحبطهم، بما أنه لن يشفى لا اليهودي ولا الزنجي ولا الحصان أبدا؟

شويتزر : (يغضب فجأة)
سيد لوبلان أنت تناضل ضد العبودية، وضد الفوضى وضد الوباء، في حين أن كل هذه الأمور قد بدأت من جديد. لأنك تعلم أنه في يوم ما سيكون كل شيء عادلا ونهائيا. أنت أيضا تنتظر مجيء ملكوت الله... (صمت) إن هذا دليل على وجود الله أنت تقدمه لنا الآن دليل، لا يمكن رفضه.

لوبلان : على العكس، أنا أخبرك بشيء يشكك في وجود الله: الحرب الوشيكة! قد يكون أحد الرسل في طريقه إلينا في هذه اللحظة... وأقولها لك مرة أخرى يا

دكتور: مشفاك قد يكون مهددا منذ هذه الليلة...

شويتزر : (يبتسم ويقول بحزم)
أنت تعرف أنه لا يوجد في العالم من هو أعند من الألزاسي إلا البروتستانتي!

لوبلان : (يقوم بحركة تدل على عجزه ويستدير نحو الأب شارل)
يا أب شارل على كل حال أنت لا تستطيع البقاء معزولا: يجب أن تقيم هنا بضعة أيام.

الأب شارل : لا تطلب مني هذا.

لوبلان : أنصحك بهذا فقط.

الأب شارل : لا، كنت عسكريا بما فيه الكفاية لأعرف ما يعني ترك مكان العمل. سأعود إلى مكان عبادتي هذا المساء.

لوبلان : إذا فنذهب معا لأنني أريد أن أعرج على بدوسالا.

الأب شارل : (بتردد)
هل عندك حرس؟

لوبلان : طبعا.

الأب شارل : لا، يا سيد لوبلان، أنت تعرف ماذا يلقبني السكان المحليون؟

ماري : (بهدوء) «الرجل ذو الأيدي المفتوحة».

الأب شارل : لا أريد أن يروني هنا بين الرجال المسلحين.

لوبلان : كما تريد يا أب شارل ولكن مع ذلك سد بابك

بالمتاريس هذه الليلة، طابت ليلتك دكتور، طابت ليلتك آنسة ماري.

ماري : سأرافقك.

(يخرج الاثنان من الباب الخلفي)

المشهد الثالث

شويتزر – الأب شارل

(يبقيان للحظة وهما ينظران إلى بعضهما من دون كلام)

شويتزر : (بصوت متقطع)

أب شارل، أب شارل، هذه المرة نحن على حافة الهاوية!

الأب شارل : (بهدوء)

بل أخطر من الهاوية يا شويتزر: لقد حانت لحظة المواجهة، أنا متأكد من ذلك.

شويتزر : (مفاجئ)

لكن لوبلان لم...

الأب شارل : (يقاطعه) لقد شعرت بهذا عندما كان يتحدث. كان يداوي ويجرح في نفس الوقت: كالرجل الذي تفتح جروحه. لا تشك في ذلك يا شويتزر: كل شيء انتهى...

شويتزر : سنرى ذلك يا أب شارل! ربما غدا. ولكن لا تقل لي

بأن الرجال الذين كبرت معهم والذين كبرت معهم سيتقاتلون في هذه اللحظة التي كنا نتحدث فيها عن الله.

الأب شارل : بلى، ومن المحتمل أن يحدث ذلك باسم الله.

شويتزر : (بعد صمت) آه! كم أتمنى أن تنتصر فرنسا!

الأب شارل : وبأفضل حال! (صمت) سأذهب...

شويتزر : (يوقفه و يقول ببطء)

أب شارل، هل فكرت بأنهم ربما يستدعونك هناك لـ... لتشرف على عمل الرجال؟

الأب شارل : لأطلب من رجال أن يقتلوا آخرين؟ كيف يمكنني ألا أفكر بذلك؟

شويتزر : وكيف يمكنك أن ترفض؟

الأب شارل : (بهدوء)

سأبقى هادئا: سيجد الله حلا لهذا، ربما أن الحل موجود مسبقا...

شويتزر : احذر يا أب شارل! نحن بذلك نجعل لوبلان محقا، إذ نحرر صكوكا باسم السماء!

الأب شارل : لم ينس لوبلان إلا شيئا واحدا، هو أن صكوكنا لها أرصدة. على الأقل نحن ندفع ثمن كل شيء! الله وحده يستطيع أن يعطي...

(صمت)

شويتزر : هو لا يقرض إلا الأغنياء، ولكنه يعطي الفقراء!

الأب شارل : (يبتسم)

إذن سيعطيني طريقة أنجو بها من دون أن أهرب... (صمت) طابت ليلتك شويتزر (يذهب نحو الباب الخلفي ثم يستدير) كم أنا حزين على فراقك! أشعر بأن شيئا مهما سيتوقف...

شويتزر : (بصوت منخفض)

يمكن أن يكون المكان الأخير واللحظة الأخيرة التي يستطيع فيها ألزاسي وفرنسي التحدث فيها بأخوة... (صمت) ها أنت ذاهب يا أب شارل. أما أنا فسأبقى مع الثلاثمائة مريض ومع عائلاتهم، ومع ذلك يبدو لي وكأنك تتركني وحيدا وتهجرني!

الأب شارل : (بصوت منخفض)

الله مع كل خلقه: المليارات من الأموات والأحياء: مع ذلك فسيكون الأكثر وحدة إذا لم أرجع إلى مكان عبادتي!

(تسمع فجأة ضجة قريبة جدا وتستمر بعض الوقت)

شويتزر : هل تسمع هذه الضجة؟

الأب شارل : (يفتح الباب الخلفي)

نعم، سمعت أيضا ضجة أخرى هذا الصباح!

شويتزر : ولكن هذه تبدو أكثر قربا.

(يستمعان للحظة أيضا)



الأب شارل : (ينظر إلى الخارج)
لا أرى الآنسة ماري...

شويتزر : يمكن أن تكون قد صعدت لرؤية الذين أجريت لهم عمليات جراحية: لقد مات واحد منهم.

الأب شارل : هل مات كاسا؟

شويتزر : نعم، مات كاسا. لا أستطيع أن أفعل له شيئا.

الأب شارل : (بعد صمت قصير)
الآنسة ماري منتبهة بشكل عجيب.

شويتزر : (يصحح بصوت منخفض)
بل هي دقيقة بشكل عجيب.

الأب شارل : (برصانة)
قل لها يا شويتزر، أني أُصلي...! بل إنني أفكر فيها، بروحها... (بحيرة) ستقول لها هذا هذه الليلة، أليس كذلك؟

شويتزر : (يحني رأسه، الأب شارل يقوم بحركة وداع ويخرج، يمشي بخطى كبيرة نحو الباب الخلفي ويصرخ)
فيرييه! فيرييه!

الأب شارل : (يظهر مجددا على العتبة)
هذه هي المرة الأولى التي تناديني فيها باسمي!

شويتزر : (منفعلا)
عانقني!
(يتعانقا مطولا)



الأب شارل : (بصوت منخفض)

وداعا.

(يخرج، يظل شويتزر ثابتا. يفتح باب الجهة اليمنى فجأة وتظهر ماري لاهثةً، تتكلم بسرعة مع شويتزر)

المشهد الرابع

شويتزر – ماري

ماري : (تصرخ) دكتور.

شويتزر : (يستدير)

هذه الضجة كانت من عندنا أليس كذلك؟

ماري: العائلة التي كانت تسكن في المسكن رقم (١٤) كسرت باب المخزن وسرقت زيت النخيل وبودرة المانويك[١]! (شويتزر يعود، راكضا باتجاه باب الجهة اليمنى، توقفه ماري) هذا لا يجدي نفعا! جوزيف وبونزو والآخرون أعادوا الأمور إلى حالها.

شويتزر : ما الذي حدث؟

ماري : الناس غاضبون بسبب قرع الطبول المستمر منذ الليلة الماضية والشائعات التي نقلها القادمون الجدد. لقد باتوا مقتنعين أن البيض سيغلقون المشفى ويتركونهم على قارعة الطريق.

شويتزر : إنهم مجانين! سأذهب... لا! لن أذهب الآن مباشرة

(1) مانويك: manioc، جنس جنبيات (نبات) يستخرج من جذورها دقيق نشوي.

لأنني غاضب جدا الآن.

ماري : إنهم أطفال!

شويتزر : (بمرارة)

وإذن فإنا طفل عجوز لا يمكن إصلاحه! لقد تخليت عن الموسيقى والتعليم، تخليت عن كل ما أحب وأدرت ظهري للحياة لأصل إلى هنا، وها هم يسرقون مؤونة المشفى. (صمت) آه! كم أحن لمدينتي غونسباخ، لظل شجر النعناع ولأصدقاء المساء... (يُخفض صوته) هيلين... آه يا صغيرتي...

ماري : (بشيء من القساوة)

يستطيعون العيش من دونك هناك، يعرفون أن يأملوا. (تشير إلى باب الجهة اليمنى) ولكن بالنسبة إلى هؤلاء سيحبطون من دونك!

شويتزر : لكنهم يسرقون المستشفى!

ماري : لقد جنوا لمجرد سماعهم بأنهم سيبقون وحيدين.

شويتزر : من الأكثر وحدة بيننا؟ أنا أسكن عائلاتهم في المشفى نفسه (يجوب الغرفة، ويتكلم كما لو كان لنفسه) أتركهم؟ ولكن هل أترك للمصادفة جسرا من جسور مبنى من مباني هذا المشفى؟ كنت أجوب بالقوارب محبطا كل المنطقة بحثا عن أوراق الرافية[1] لأغطي

(1) رافية: raphia، نوع من النخيل.



بها الغرف! و الألياف لتثبيت الروافد على السطح، لقد كنت أقطعها من سبعة أمكنة مختلفة، لأنه كانت تبدو لي أكثر صلابة، كم أنا أحمق! وبعد أن انتهيت بدأت بتوسيع كل شيء، ليصل هواء النهر بشكل أفضل إلى هؤلاء اللصوص!

ماري : (بصوت منخفض)
دكتور!

شويتزر : وكنت أفكر بأن أتوسع في هذا البلد العاق، حيث لا بد من إعادة عمل كل شيء دائما!

ماري : (بنفس اللهجة)
إنها الأرض بأسرها، هذا البلد العاق حيث لا بد من إعادة عمل كل شيء دائما[1]!

شويتزر : (من دون أن يسمعها)
نباتات المانويك، والذرة المزروعة في قلب الغابة لكي تمو بشكل جيد، وعندما نعود إليها بعد خمسة عشر يوما، يكون هذا المناخ الاستوائي قد أخذ جزءا منها! بلد اللصوص بلد القتلة بلد يعادل فيه كل شعاع شمس ضربة سيف، بلد يسقط عليك الخطر فيه من الشجر، ويخرج من الأرض (يقوم بحركة لطرد الذباب) ويطير في الهواء، وبشكل غير مرئي! هذا

(1) تكرر ماري جواب شويتزر متعمدة، مشيرة بذلك إلى عبثية الحياة في كل مكان، وليس فقط في الغابون.

بلد لا يوجد فيه أي حيوان لا يصبح متآلفا معك إلا عندما يصبح عدوا لكل الغابة! أي بلد عديم الإنسانية هذا!

ماري : البلد ليس عديم الإنسانية بما أنه مأهول بالناس: من أجل هؤلاء أتيت إلى هنا، وليس من أجله.

شويتزر : (يتوقف عن المشي)
نعم، واليوم أخذت مكافأتي منهم!

ماري : لقد حصلت على مكافأتك مائة مرة! عندما يصحو كل واحد من الذين تجري لهم عمليات، ويصرخ: «لم أعد أتألم» ثم تصافح يده يدك ولا تتركها...

شويتزر : هذا صحيح (صمت) ولكن، سأفرح كثيرا عندما يشفون.. هذه هديتي. ولكي أبقي عليهم في المشفى بين مواعيد وخز الإبر يجب علي أن أخترع دواء أحمر اللون حتى لو كان ماء ملونا، أو أنهم يطلبون الجرعة التي يحتاجها أكثر الناس مرضا! يفركون أجسامهم بالأعشاب التي أصفها لهم و يمصّون كل حبات العلبة!

ماري : (تبتسم) مدام شويتزر قد تتحدّث عن هذا بنفس المقدار بخصوص ابنتك الصغيرة في غونسباخ.

شويتزر : (بضعف)
ابنتي الصغيرة على الأقل تقبل أن تعمل!

ماري : (بنفس النبرة)



نعم، ولكن عندما يمر عصفورٌ أو سنجاب أنا واثقة أن نظراتها تضيع وراءه ويسقط من بين أصابعها قلم الرصاص! و ثم إنك علمتها أن تعمل... (تشير إلى باب الجهة اليمنى) وأما هؤلاء من علمهم ذلك عندما كانوا صغارا؟

شويتزر : (يبدو عليه الحنق)

ومن علمهم السرقة؟ (يخرج حزمة من المفاتيح من جيبه) أنت تعلمين أن الغسالات والنساء اللواتي يطبخن زيت النخيل يجب علينا أن نحبسهن خلف القضبان لكي لا يختفي الزيت والصابون! لا، لا! أنا...

ماري : (تقاطعه بهدوء)

دكتور هل تريد أن تعزف مقطوعة لباخ، إذا سمحت... من أجلي؟

شويتزر : (يتردد ثم يجلس أمام البيانو)

من أجلك ومن أجلي! لكي لا نسمع قرع الطبول المرعب، وضد هذا القلب الذي ينبض بشكل عشوائي!

ماري : الذي ينبض قلقا.

شويتزر : (بقساوة) أو من نفاد الصبر (يعزف بحدة، وبعد لحظات يعزف ببطء ويتكلم) آنسة ماري لماذا تدافعي عنهم ضدي، فأنا من يحبهم وليس أنت!

ماري : (ترتجف) ولكن أؤكد لك...

شويتزر : (الذي يستمر بالعزف)

أنت لا تحبينهم وربما هذا هو الخيار الأفضل. ولكن لماذا تدافعين عنهم؟

ماري : (بعنف، بعد صمت) ولماذا أنا هنا؟ «الخيار الأفضل»؟ لنقل أنني في وضع محزن!

شويتزر : (يتوقف عن العزف ويستدير نحوها ويقول بنبرة حاسمة)

أنت تدافعين عنهم لأنني أنقذهم، لا أحد على حق أو على باطل تماما، إنها الظروف الإنسانية شئنا ذلك أم أبينا. نحن نشكّل فريقا آنسة ماري: عندما أتوقف أنا عن الحب، فلتقومي بذلك بالنيابة عني.

(يعود إلى العزف بهدوء)

ماري : (بصوت منخفض)

هل أحب؟ وماذا يعني أن نحبّ؟ هنا كلّ منا له تعريفه الخاص به! فأي تعريف ينبغي قوله؟

شويتزر : (ببطء) تعريف الناس الذين يطوون حياتهم أمام حبهم.

ماري : (بصوت منخفض أكثر)

وهل يجب ألا نقبل الحب إلا عندما يطوي المحب حياته أمام حبه؟

(شويتزر لا يجيب، ومن المحتمل أنه لم يسمع، يعود

للعزف بقوة. تطغى الموسيقى لوحدها لفترة وفجأة يظهر ليوفان على الباب الخلفي. تقوم ماري بحركة، ويطلب منها ليوفان أن تصمت واضعا يده على شفتيه، شويتزر الذي لم يرها يتابع العزف، ولكنه يلمحه فجأة، يتوقف عن العزف وينهض).

المشهد الخامس

شويتزر - ماري - ليوفان

شويتزر : (بضيق)

ماذا هناك؟

ليوفان : لقد انتهى كل شيء.

شويتزر : (يقع محزونا على كرسيه أمام البيانو)

وتركتني أعزف!

ليوفان : نعم، لقد أعطيتك هذه الدقيقة مهلة وكنت أنظر إليك: إنه شيء جميل ألا يعرف الإنسان أنه قد دخل الحرب بعد وأنه يجب أن يكره جزءا من العالم!

شويتزر : (ينهض فجأة)

لم يجبرني أحد أبدا أن أعتبر إنسانا ما عدوا لي!

ليوفان : حتى لو كان هو الذي أمر بتدمير المشفى؟

ماري : (بهدوء)

حتى لو كان هو الذي أمر بتدمير غونسباخ وقتل أهلها؟

(شويتزر يخفض رأسه من دون أن يجيب ويغلق البيانو)

ليوفان : لم لا تجيب! (صمت)
الحرب تبرز لكل إنسان وجها يبررها في نظره. فهي عند البعض تعني الحرية والمساواة أمام الموت وعند البعض الآخر الأخوة، ومنذ أن تعلن الحرب فلن نستطيع النجاة منها يا دكتور!

شويتزر : هي تحديدا انتقامٌ، وليس فقط انتقام بلد من آخر: ولكن انتقام كل إنسان، كل إنسان ينتقم من وضعه المزري ومن حظه السيئ، ومن حسن طالع الآخرين.

ليوفان : (بمرارة)
لا ليس هذا أيضا ! ينتقم الإنسان من رئيسه في العمل، من زوجته، من الروتين الذي يجبره على الذهاب إلى قداس يوم الأحد، ومن زيارات رأس السنة! بالنسبة للأشخاص السّيئين الحرب تعتبر انتقاما ولكن بالنسبة للجيدين هي بعثٌ: «الاجتماع مع الناس كما في أيام الخدمة العسكرية» هكذا يفكر كل واحد منا. وعندما يجد نفسه وجها لوجه أمام الحقيقة، وهي الموت، فلن يستطيع أن يتصرف إلا كبطل أو جبان حسب طبعه سيقتله الأعداء أو يعدمه رفاقه.

شويتزر : (بصوت منخفض) أنت لست عادلا أيها الرائد!



ماري : وأنت يا دكتور لقد أصبحت أكثر رأفة.

ليوفان : الأسوأ من ذلك أنك أصبحت شريكا في الجرم! لقد وجدت نقطة ضعفك، الحرب: هذه الشفقة، هذه الشفقة العجيبة، ولكن الحرب هي الظلمُ وهي العنف ويجب أن تواجه بالظلم والعنف!

شويتزر : (بصلابة) لا، أبدا! لا يجب أن تقوم ضد أي أحد! (صمت)

كنتم تحاربون في تونكان، والمغرب وحتى هنا يا سيدي الرائد. يوما ما كان العالم بأسره يعيش بسلام إلا حيث وجدتم أنتم وكنتم المسؤولين عن إلقاء السلاح!

ليوفان : نعم، لقد حاربت، مادا يدي وليس قبضتي: شهر حرب لضمان عشرين سنة من السلام وهؤلاء الذين ماتوا تحت قيادتي لم أنشئ لهم نصبا تذكارية وإنما أقمت لهم ممالك، لكل صليب خشبي أقمت مدينة كاملة! أما حربهم فهي التدمير، التدمير الكلي. أنقاض ولوحات من الرخام وخطابات.. هذا ما بقي في الجبهتين.

شويتزر : لقد نسيت جهة... أليس كذلك؟

هذا الإذلال والخنوع الذي لا يمكن تحمله: خجل الكبار، واحتقار الجيل الأصغر لهم، وهذه الرغبة العارمة بالانتقام التي تجعل من كل شخص يخسر



مسبقا الحرب التي سينتصر فيها.

ليوفان : (بعنف) إنهم مجانين! إنها الحماقة الكبيرة التي تشارك فيها الشعوب جميعا! سيخسر المتورطون بالحرب مستعمراتهم عاجلا أم آجلا. الحرب بين الأوروبيين هي حرب أهلية.

ماري : وهل عرف السكان المحليون بأمر الحرب؟

ليوفان : نعم لقد عرفوا النبأ في نفس الوقت الذي عرفته أنا، وقبل لوبلان الذي مازال يبحث عنه جندي ارتباط في الغابة!
البريد يصلكم كل ثلاثة أسابيع حاملا أنباء قديمة حدثت منذ شهر ولكن أخبارا من هذا النوع تحملها الريح والبذور المجنحة والبرق. الغابة بأسرها تعلم أن البيض في أوروبا بدأوا مباحثات طويلة (يخفض صوته) وأن قبيلة الرائد تقاتل قبيلة الدكتور.

شويتزر : (بعد صمت)
لم نعد نسمع قرع الطبول الآن.

ماري : (بصوت منخفض)
في أفريقيا، الأكثر خطورة هي الأشياء التي لا نسمعها.

ليوفان : (فجأة وبقلق) أين فيربيه؟

شويتزر : لقد خرج إلى مكان تعبده.

ليوفان : هذه الليلة؟



شويتزر : لقد خرج للتو.

ليوفان : لوحده؟ (شويتزر يقوم بحركة تشير بنعم) يا للجنون!

ماري : لم يشأ أن يحتمي بحرس السيد لوبلان.

لوبلان : (يهز أكتافه)

لقد بدأت التحركات، إنها الحرب.

ماري : (بصوت منخفض) أنت تتكلم مثل السيد لوبلان!

شويتزر : لقد طلب مني حراسة المشفى بفرقة من الجيش، فرفضت ذلك: هل تسمين هذه بادرة؟ على العكس تماما: حراستي أنا والأب شارل ضد السكان المحليين، من قبل الجند، هو الأمر الغريب، وهو الجنون: البادرة!

ليوفان (بنبرة حاسمة): لو أنني كنت قدرت أن المشفى في خطر للحظة واحدة، كنت تخليت عن موافقتك يا دكتور!

ماري : هل الأب شارل في خطر؟

ليوفان : نعم لأنه لوحده! الحرب تزج بالجبناء أولا، والأبطال لا يظهرون إلا لاحقا.

شويتزر : من جهة أخرى، الأب شارل لن يدافع عن نفسه.

ليوفان : لم أعرفه إلا محاربا! في سان سير، دخلت في مبارزة هزيلة، فطلب مني أن يقاتل بدلا مني!

شويتزر : هو قرر ذلك تآخيا معك وليس رغبة في العنف.



ليوفان : أتعتقد ذلك؟ (يقوم شويتزر بحركة تشير إلى أن هذا واضح) نعم... هذا محتمل، أنا حكمت عليه بعيني قبل عشرين سنة... فيرييه! (فجأة يبدو عليه الغضب أكثر من الحيرة والتردد) آه! لا أتحمل بقاءه وحيدا هناك في هذه الليلة! سأرسل له حرسي. لا! سيشعر بالإهانة. سأذهب إليه أنا شخصيا.

(بينما ينهي كلماته ينطلق غناء جنائزي في الجوار، ينظر شويتزر وماري لبعضهما البعض)

شويتزر : كاسا!

ماري : لقد مات كاسا.

شويتزر : (يستدير نحو ليوفان)

أحد الذين أجريت لهم عملية جراحية هذا الصباح، لقد كان ضائعا سأذهب حالا، ألم الوثنيين الميئوس منه يقلقني تماما كألم الأطفال.

ليوفان : يسمع مرضاك الثلاثمائة هذا الغناء الجنائزي وكل واحد يقول: «هيا! لقد مات هو وليس أنا! لقد كسبت يوما جديدا» ثلاثمائة مليون إنسان سيفكرون بهذا الشيء كل يوم. إنها الحرب!

ماري : (بصوت منخفض) المسكين كاسا!

ليوفان : نعم، كاسا المسكين لقد مات بعد أن عاش يوما آخرا لقد تغير كل شيء: لم يعد لموته نفس الثقل.

شويتزر : نفس الثقل أيها الرائد، نفس الثقل تماما!



ليوفان : أمام الله من دون شك! ولكن أمام...

شويتزر : أمام كل من يستحق لقب إنسان لأنهم يحترمون الحياة!

ليوفان : (بلطف)

ولكن يا دكتور في هذه اللحظة، المواطنون الجيدون في الأمم الكبيرة يتلقون ويصقلون ويزنون باليد... وهم يبتسمون كل ما يخدمهم في سبيل القتل. إنها الحرب... إنها الحرب!

شويتزر : يجب أن نهتم بالإنسان والمبادئ التي لا يمكن للحرب أن تغير شيئا فيها. أنت مهووس بالتدمير الذي يقرع الأبواب وأنا بفكرة إعادة الإعمار التي ستتبعه. إعادة الإعمار ستقوم على مبدأ احترام الحياة. الحفاظ على الحياة وتحسينها، وأن نرتقي بها إلى أعلى قيمة لها، هذا هو الخير، أما تدمير الحياة والإضرار بها، وإخضاعها للعذاب والألم فهذا هو الشر. فمسؤولية كل واحد منا تجاه الآخرين مسؤولية كاملة سيدي الرائد، وسنسأل عندها عن ذبابة سحقناها استجابة لنزواتنا كما نسأل عن فرقة كاملة من الجنود هلكت بسبب عدم الحذر.

ليوفان : (بنفس النبرة)

أنت لطيف يا دكتور! أود الاعتقاد أن الناس اللطفاء سيملكون الأرض يوما ما ولكن ليس الآن!

شويتزر : لست لطيفا ولكن العالم يبدو وكأنه حصان ساقط يتخبط بلجامه. يجب فكه ومساعدته، ثم ضربه بالسياط. أعرف هذا!

(يتوقف اللحن الجنائزي منذ لحظات)

ماري : (تنصت، وبعد صمت قصير تقول بهدوء)

لقد انتهى نزاع كاسا.

شويتزر : سأذهب لوداعه.

(يخرج من باب الجهة اليمنى)

المشهد السادس

ماري - ليوفان

(ينظران إلى بعضهما لبعض الوقت)

ليوفان : أنتظر منك هذا المساء قرارا.

ماري : أنت من سينقل لنا الخبر الحاسم!

ليوفان : (بحيوية)

ولكنه لا يغير شيئا!

ماري : هذا يتعلق، من دون شك بـ...!

ليوفان : بماذا؟

ماري (بظرف): بهذه الأوامر «السرية» والتي لم تعد سرّية منذ لحظات.

ليوفان : مهما كانت هذه الأوامر فهي ستتركك حرة تماما، ماري!



ماري : حرة، بأن أتركك حرا، نعم. (صمت) ومع ذلك فأنا أسأل نفسي ما إذا كان الدكتور على حق...

ليوفان : على حق؟

ماري : نعم: ما إذا كانت قوة أم ضعفا أن نتحدث اليوم كما كنا نتحدث البارحة (تخفض صوتها) أن نقرر اليوم ما كنا قررناه البارحة.

ليوفان : (بعد صمت).
لو كنت تحبيني ماري وإذا تزوجنا، ولو أني ذهبت في اليوم التالي إلى الحرب وقتلت في اليوم الذي يليه هل كنت ستتأسفين على قرارك؟

ماري : (بعنف)
لا يأسف المرء أبدا على شيء اختاره بملء إرادته ولكنه سيلعن الحظ إلى الأبد!

ليوفان : (متأثرا جدا)
هل تحبيني ماري!

ماري : (بنفس اللهجة)
أنا لست مسيحية! لن أستسلم أبدا، لقد حان الوقت لتعرف ذلك.

ليوفان : (دائما بنفس التوتر)
أعرف الآن أنك تحبيني وهذا يكفيني...

ماري : (بنفس اللهجة)
لقد انتظرت طويلا... عندما يأتي دوري لن أتخلى



عنه أبدا!

ليوفان : (بهدوء)

ربما نتخلى عنه معا.

ماري : (تحاور نفسها باطنيا وتقول بقوة) ربما. (صمت) والآن قل لي ما هي هذه الأوامر.

ليوفان : وتقولي لي بعدها قرارك.

ماري : من دون شك.

ليوفان : (يسحب أوراقا من جيبه)

ما أمروني به هو أمر فريد وحكيم: أن أبقى، إذا كان الموقف يقتضي ذلك وأن أرجع إلى فرنسا لآخذ القيادة إذا قدرت أن هذه المنطقة أصبحت مسالمة.

ماري : إذن فأنت حر الاختيار؟

ليوفان : لا ليس الاختيار وإنما الحكم!

ماري : ما هو قرارك؟

ليوفان : (من دون أن يبتسم)

قرارك أولا!

ماري : بالتأكيد لا. ليكن حكمك صافيا ونقيا !

ليوفان : (بعد صمت) حسنا دعينا من هذا! أعتقد أني أعرف مشاعرك... وبالنسبة إلى حكمي وقراري، إنه مبرم: سأبقى.

ماري : (بحرارة) ستبقى!

ليوفان : (بعنف تقريبا)



نعم هناك، إنها المغامرة، الوظيفة، والنجوم... وسأبقى! على الرغم من هذه الحرب التي يحضروننا لها منذ عشرين عاما... سأبقى!

ماري : (بهدوء) أتبقى وروحك ميتة؟ (ليوفان ينظر إليها، يتردد ثم يشير برأسه ببطء نعم) إذن لماذا تريد البقاء؟

ليوفان : (بطريقة تدل على الغضب)
لأنهم سيجدون عشرة آلاف قائد كتيبة ليقودوا فرقهم ليرتقوا باتجاه نيل الشارة الخامسة لهم! ولكن كم من الرجال يستطيعون الحفاظ على إمبراطورية من دون ضمانات ومن دون جنود؟ كم عددهم؟

ماري : من دون جنود؟ كنت أعتقد أن الجيوش المرابطة هنا...

ليوفان : (يقاطعها بنفس اللهجة)
إنها كثيرة، نعم! لكن سوف أعيدها كلها تقريبا. سأطبق سياسة الابتسام: ورشة تعادل كتيبة، ومدرسة التمريض المحلية تعادل لواء! وهكذا فسيقاتل رجالي هناك من دوني! وسأرسل سفن شحن مملوءة بالمؤن...

ماري : أطلبوا منك ذلك؟

ليوفان (يغير نبرة صوته): لا (بحنان) الطفل لا ينتظر أمرا لينقذ أمه...



ماري : أنت ملكي أكثر من الملك نفسه.

ليوفان : يمكن ذلك. ولكن من دون هؤلاء الناس ما كانت الجمهورية لتستمر طويلا!

ماري : (بقوة وبعد صمت) ولكن هل فكرت بشكل جيد...؟

ليوفان : بكل شيء! (بنبرة هادئة) أطلب منك أن تؤمني بأني فكرت في كل شيء قبل أن أتخذ قراري بعدم القتال.

ماري : أو بالأحرى، ليس بهذه الطريقة.

ليوفان : لكنها الطريقة الوحيدة التي تهم كل الناس من الآن فصاعدا!

ماري : وهل لأحكام الآخرين تأثير في قراراتك؟

ليوفان (بعد لحظة، وببساطة):

لا، أبدا. بلا شك هذا تعريف الطاغية...

ماري : (تبتسم)

أو تعريف (الرجل العظيم)! السيد لوبلان سينشئ لنا نثرا جميلا بهذا الخصوص!

ليوفان : يستحسن أن أتجاوز حكم السيد لوبلان.

ماري : (برصانة) للأسف إنه الشخص الوحيد الذي يجب أن تقيم وزنا له (ليوفان يقوم بحركة) أسمع، كل ما يمكنه أن يرغمك على الخروج من هنا يرعبني!

ليوفان : (مشوش)

ماري!



ماري : (تكمل بلهجة حاسمة)

أنا أكره الغموض، الندم، وتقلب الأحوال، هل فكّرت في أنك لن تستطيع إنجاز أيٍّ من مشاريعك إذا عارضها لوبلان؟

ليوفان : (بهدوء)

كل مشاريعي! هي كما أرغب! (يخرج ورقةً أخرى من جيبه) هذه رسائلي التي تعطيني السيادة على الحاكم المدني...

ماري : وهل يعرف ذلك؟

ليوفان : لا هو ولا أي شخص آخر غيرك (صمت) كفانا التحدث عن لوبلان! دعينا لا نتحدث إلا عنك وعني! (برصانة) اعتمد عليك يا ماري في مواجهة الحرب أو التخلي عنها... (صمت) هذه هي طريقتي لأعبّر لك عن حبي!... ومع ذلك نحن نفترق الآن...

ماري : (بحيوية) لماذا؟

ليوفان : فيرييه، لوحده...

ماري : هذا صحيح.

ليوفان : أعطني كلمة لن تفارقني أبدا!

ماري : ولكن...

ليوفان : كلمة تسعدني وتربطني كسلسلة من الذهب...

ماري : (تأخذ يده بلطف)

منذ وقت طويل الصمت مملكتنا... لم يحن الوقت

لنخرج منه! ليكن لنا بمنزلة خطبتنا يا هيرفيه...

ليوفان : (في قمة التأثر) تقولين اسمي كما لم يقله أحد من قبل... صوتك هذه الليلة... لقد اكتشفت أن قلبي كان خاويا وها هو اليوم يفيض بـ...

ماري : (بحيرة)
لحظة واحدة، لحظة سعادة واحدة... هل هذا كثير؟ وهل الوقت متأخر لذلك؟

ليوفان : متأخر جدا؟

ماري : (نفس اللهجة)
لقد دارت آلة الحرب، وأشعلت الفتيلة... وها هي أولى الليالي اللاإنسانية. كم من الرجال ماتوا اليوم ظلما؟ لحظة سعادتنا الأولى مدنسة بالدم... ألا تعني السعادة التفكير بالآخرين؟

ليوفان : (يحاول المزاح)
اسكتي! ماذا كان سيقول شويتزر لو أنه سمع هذا الكلام؟

ماري : كان سيقول لي بأنه ليس لدينا الحق في السعادة.

ليوفان : ما الذي لنا حق فيه على الأرض؟ كل شيء يمكن أن يسرق!

ماري : وكل شيء يدفع ثمنه!

ليوفان (يهز كتفه بلا مبالاة، أو بشيء من الإعياء ثم يقول بعد صمت): خذي هذا الخاتم، إنها المرة

الأولى التي يفارقني فيها منذ عشرين عاما (يضع خاتمه في يدها) ولكن يديك ترتجفان ماري... ماذا هناك؟

ماري : (بصوت مشوش)
إنه الخوف! إنها المرة الأولى التي أخاف على شخصين من... (يتأثر ليوفان ويهمّ لأخذها بين ذراعيه، في هذا الوقت يفتح الباب الخلفي فجأة ويظهر لوبلان. يبدو شاحبا جدا).

المشهد السابع

ماري – ليوفان – لوبلان

لوبلان : (يصرخ)
ليوفان! الأب فيرييه!...

ليوفان : (بصوت موجز)
ماذا حصل؟

لوبلان : لقد اغتيل!

ماري : (تخفي وجهها بيديها)
يا إلهي...

ليوفان : متى؟ ومن فعل ذلك؟ قل بسرعة!

لوبلان : لم يشأ الانضمام إلى موكبي. وبينما كنت مارا بالقرب من مكان تعبده، سمعت ضجة، وأصوات، أصدرت أمرا كي نبتعد. دوي إطلاق نار. آه!

ليوفان... رأيت الأب شارل وهو جاث على ركبتيه بلا حراك، ينازع، وجهه في الأرض ببطء، كالذي غلب عليه النعاس...

ليوفان : مات؟

لوبلان : أطلقت عليه رصاصة على مؤخرة الأذن وخرجت من العين اليسرى...

ماري : (بتردد) هل شوهته الرصاصة؟

لوبلان : لا. كان يبتسم...

ليوفان : فيرييه! (يستعيد كلامه المختصر) والقتلة؟

لوبلان : لقد هربوا عندما اقتربنا من المكان. لحق بهم ثلاثة من رجالي في ظلمة الليل ولكن من دون أمل!

ليوفان : هل هربوا باتجاه الجنوب؟

لوبلان : نعم.

ليوفان : أمر طبيعي! (يسيطر عليه الإحباط أكثر من الغضب) آه! لوبلان كيف تركته يذهب لوحده في هذه الليلة!

ماري : لم يشأ ذلك بأي ثمن.

ليوفان : (يقاطعها بعنف)

لم يكن سيد نفسه! لم يكن سيد موته! هو وأنت وأنا كنا نمثل فرنسا هنا. وقتلته جاؤوا من الجنوب من المستعمرات الألمانية واختاروه هو دونا عني وعنك لأنه كان بلا حراسة وهذا كان خطأنا!

لوبلان : (بهدوء)



إنه حادث يا ليوفان، حادث أليم لا تجعل منه جريمة سياسية!

ليوفان : لا هذا ولا ذاك: إنه فعل حربي. وفيرييه هو القتيل الأول في هذه الحرب (يخفض صوته) وكان صديقي...

لوبلان : لا، لا! عشرة أشخاص ضد شخص واحد لم يكن مسلحا: إنه اغتيال! لا تلحق ميتته بإحدى لعبك الكبيرة: الحرب أو السياسية! حادث اغتيال بسيط...

(صمت، بصوت مشوش) آه! إني أخجل أن أعيش في عالم يقتل فيه الأب فيرييه...

ليوفان : (بعد صمت) لم لم يأخذوه كرهينه، كانوا يستطيعون الحصول على كل شيء منا!

لوبلان : (خافضا رأسه)

وصولي جعل كل شيء يحدث بسرعة: لقد جنوا... لقد أطلق واحد منهم النار.

ليوفان : (يضع يده على ذراع لوبلان)

انس هذا، لوبلان! إنها فكرة لا يطيب العيش معها! (صمت)! لم يكن وحيدا؟

ماري (بصوت منخفض): لقد مات: إنه وحيد الآن!

لوبلان : تركت جنديين، وكل حيواناته الأليفة وهي تنوح والكثير من السود وهم يتسللون بصمت إلى منسك

الأب شارل وكلهم خاشعون... مقتنعون بأن الطبيب الأبيض سيوقظه كما ينقذ الناس الذين يجري لهم عمليات! (صمت، بصوت منخفض) ولكن دمه يجري بهدوء على هذه الأرض المرتوية...

(ليوفان يستدير فجأة ليخفي وجهه)

ماري : (بعد صمت) سأذهب لإعلام الدكتور شويتزر.

لوبلان : (بهدوء) سيكون وقع الخبر عليه مؤلما.

ماري : (بعنف) مؤلما؟ بل مخجلا!... خجل الناجين...

(ليوفان يستدير وينظر إليها مطولا ماري تخرج من باب الجهة اليمنى).

المشهد الثامن

ليوفان – لوبلان

لوبلان : (يخرج دفترا من جيبه ويعطيه لليوفان) كان يمسك دفتره بيده...

ليوفان : (يفتح الدفتر يتصفحه ويقرأ منه:«عش وكأنك ستموت شهيدا اليوم...»

(صمت ومن ثم يتجه ليوفان فجأة نحو الباب الخلفي).

لوبلان : ماذا ستفعل.

ليوفان : سأحيّي رفيقي. وسأحيّي فيربيه بمراسم التشريفات العسكرية.



لوبلان : أعطني خمس دقائق! الحي أبقى من الميت (ليوفان يتردد) لا يهم أي حي قبل أي ميت...

ليوفان : (يعود إلى لوبلان)
هذا صحيح.

لوبلان : هل اطّلعت على الأوامر؟

ليوفان : الأوامر التي تخصّني، نعم.

لوبلان : لقد تلقيت نسخة من بعضها؟ إذن هل حدّدت خيارك؟

ليوفان : (يدير رأسه) نعم، منذ قليل: سأغادر...

لوبلان : (مندهش) أنت؟

ليوفان : وما الغريب في ذلك؟ إنها الحرب، وتعرف أني عسكري، سأغادر...

لوبلان : تتحدث كطفل وليس كعسكري! الطفل المشوش الذي كان يلعب لعبة الحرب.. هناك الملايين مثلك في أوروبا!

ليوفان : (يتحدث بهدوء ويبتسم فجأة)
أنت مخطئ يا لوبلان، أنا لم أكن ألعب لعبة العسكري وإنما «كنت ألعب بالبلد»... لقد شققت الطرقات والأنهار وبنيت الجسور.

لوبلان : إنها كانت إذن لعبة أطفال، لعبة زمن السلم «البلد»!

ليوفان : (بحيوية)
كلا!

لوبلان : (بنفس اللهجة) إذن فلماذا تغادر؟

ليوفان : (ببطء بعد أن ينظر إليه بصمت)
وأنت؟ لماذا تريد الاحتفاظ بي؟

لوبلان : (مرتبك) ولكن...

ليوفان : في النهاية أصبحت سيد هذه المملكة الوحيد، وتريد الاحتفاظ بي! ما الذي تغير منذ ليلة البارحة؟

لوبلان : (بعد تردد)
فقط هذه الجملة: «لا أريد اللعب في جزيرة مهجورة!»...

ليوفان : وماذا يعني ذلك؟

لوبلان : (بصوت أصم)
لا أريد أن أجد نفسي وجها لوجه مع ماري...

ليوفان : (بمرارة) أخيرا لوحدكما!

لوبلان : (بعنف)
لا، أنت تعلم ذلك! أنت تعرف أنه مع قلوب من هذه النوعية الغائبون هم دائما على حق!

ليوفان : (بعد لحظة).
أهذه هي المشاكل التي تطرحها الحرب بالنسبة إليك!

لوبلان : الآخرون يتكلفون بحل هذه المشاكل بدلا مني، ومن دون أن يعطوني الخيار، كما فعلوه بالنسبة إليك (صمت). على كل حال، هل يجب أن أفسد حياتي



لأن بعض رجال السياسة قرروا التسلية، مرة أُخرى بلعبة الإمبراطوريات؟

ليوفان : وبماذا تهمك الإمبراطورية إذا كنت قادرا على لعب لعبتك الشخصية الصغيرة!

لوبلان : كفى وعظا! لو أن الإمبراطورية كانت تهمك لبقيت يا ليوفان!

ليوفان : في مقاطعة اللورين يخطط لمصير أفريقيا الآن!

لوبلان : وهل تعتقد أنه ينقصهم هناك، قادةُ فرق؟ (صمت، أكثر بطئا) وثم ستكون ملزما بالطاعة، بطاعة رؤساء هم أقل خبرة منك وهذا ما سيزعجك...

ليوفان : ما يزعجني هو ألا أفعل شيئا!

لوبلان : ولكن، العمل الحر المباشر والبناء موجود هنا على الرغم من حربهم وأنت تعرف ذلك!

ليوفان : (يحاول التصالح، والترجي)
أنت من سيقوم بهذا العمل!

لوبلان : (ببطء - بسخرية)
هل تثق بي؟ ما الذي غيرك منذ ليلة البارحة؟

ليوفان : لا شيء. على كل حال، كنت عازما على البقاء هنا (يخفض صوته) حتى وقت قريب...

لوبلان : إلى أن سمعت الخبر الذي حملته إليك (ليوفان يقوم بحركة تشير بنعم) ولكن موت فيربيه يجعل من بقائك هنا واجبا!



ليوفان : كفى بلاغة يا لوبلان! لمن يثق بنفسه، أي حجة أو سبب ليس لها قيمة أو فضل على فكرة تكتنف الإنسان، أنا أعرف أني قادر على أن أحل محل فيربيه هناك، وليس هنا.

لوبلان : تريد أن تثأر له؟ لذلك فالحروب طويلة جدا وغير حاسمة أبدا!!

ليوفان : (بهدوء) لا ليس ثأرا، ولكن كما قالت ماري، الخجل من النجاة... (صمت) ستضحك يا لوبلان لو قلت لك بأن فيربيه أراد أن يقاتل بدلا مني منذ عشرين سنة: واليوم أنا مطالب بأن أقاتل بدلا منه!

لوبلان : حسنا، هذا هو مكانه هنا! فلا تترك هذه المنطقة يتيمة كليا...

ليوفان : إنها تحتفظ بشويتزر!

لوبلان : (بعد لحظة)

لا.

ليوفان : (مندهشا) هل سيترك أفريقيا؟

لوبلان : (بقوة)

الدكتور ألزاسي، أي أنه مواطن ألماني، سيعتقل هذا المساء قبل منتصف الليل.

ليوفان : (يصرخ) لوبلان! أنت مجنون!

لوبلان : (يخرج ورقة من جيبه)

ها هو أمر اعتقاله.



ليوفان : لن تقوم بتنفيذه، بالتأكيد؟

لوبلان : بلى، بالتأكيد.

ليوفان : (يمشي نحوه) أنا أمنعك من ذلك!

لوبلان : (ببطء) بأي حق؟

ليوفان : بحق... (يضع يده في جيبه حيث وضع الرسالة التي فيها الأمر، ثم يستعيد هدوءه. صمت. يتكلم مجددا وبهدوء) سوف ينتقد عملك العالم بأسره...

لوبلان : (يقاطعه بنفس الأسلوب) العالم كله في حالة حرب وهو يسخر من الدكتور شويتزر.

ليوفان : (بنبرة حاسمة، ولكن مترجّيا) لوبلان مزق هذا الأمر! وسأوفر لك حماية من التّبعة...

لوبلان : غدا، سوف تغادر. اليوم أنت نائب الملك، وغدا ستكون قائد كتيبة مهمشا...

ليوفان : وإذا بقيت...

لوبلان : (ينظر إلى وجهه) سوف أعطيك أمر التنفيذ هذا يا ليوفان: وستجاوب عليه أنت...

ليوفان : (بحيوية) ولكنك تعلم بأني ما كنت سأنفده!

لوبلان : (بهدوء) أفضل!

ليوفان : (بعنف) إذن فلا تكن منافقا! (يقوم لوبلان بإشارة لا



برأسه) فكر بشويتزر! (صمت. يقول بنبرة مختلفة) فكر في ماري...

لوبلان : (بمرارة) أنت تنصحني بهذا الآن؟

ليوفان : سوف تحتقرك!

لوبلان : بل ستحتقر من أصدر هذا الأمر...

ليوفان : إذا كنت تحترمهم فلا تطعهم!

لوبلان : (بهدوء)

لا، يا ليوفان أنا من السلالة التي لا تحترم ولكنها تطيع في منتصف الطريق بين التورع والثورة، أجد نفسي دائما رجلا كالآخرين. واحدا من أولئك الذين يمكنك بفضلهم، أنت وأمثالك، أن تخالف، وإن نجحت مساعيك، أن تترك أثرا في التاريخ... (بمرارة) أنا قاعدة متينة! فمم تشكو أنت؟

ليوفان : (بصوت منخفض)

سوف تحتقرك ماري...

لوبلان : (يهز رأسه)

إذن كانت من نفس سلالتك، ولكني أشك في ذلك. أنا أعرفها أكثر منك باعتبارها لا تحبني... (صمت) ولكني أحبها بما يكفي لمواجهة احتقارها... لن تستمر في خطئها.

ليوفان : وأنا أثق بها بما فيه الكفاية كي أغادر! (صمت) وعندما سأعود...



لوبلان : (بعنف)

لأنك متأكد بأنكم ستعودون جميعا؟ الموت أمرٌ عادي بالنسبة إلى الآخرين. أليس كذلك؟ وعندما سوف تعود، ستمر من تحت قوس النصر وستصبح الحياة عبارة عن مأدبة خالدة... يا لها من معجزة! لن تشيخ أنت وحبك؟ إنها الحسناء في الغابة النائمة، الحرب ربما؟ لا يا ليوفان! إذا عدت من هناك، لن تجد شيئا، ولن تجد شخصا لم يتغير!... ما ينتظر البطل عند عودته، بطاقة بحث، ورسالة من الضرائب تطلب منه استيفاء الضرائب... وفي نفس السنة ستتذكر أنها كانت أياما طيبة عندما كان همك الوحيد هو قتل الناس! في تلك السنة سيبدأ الناس باعتبار البطل هو الشخص الذي يموت في المعركة فقط!

ليوفان : (بهدوء)

أنت على حق من دون شك... إذن فأنت تحاول الاحتفاظ بي من باب الشفقة؟

لوبلان : (بصوت أصم).

لا، لقد قلت لك ذلك من قبل: أنا أخاف منك عندما تكون غائبا أكثر من خوفي عندما تكون حاضرا!!

ليوفان : لقد اتخذت قراري وفيرييه ينتظرني (يذهب باتجاه الخلف ويعود ليترجاه فجأة) هل ستعتني بهذه المنطقة لوبلان؟

لوبلان : (منزعجا)

ليس هذا وقت الوصايا. ستعود في هذه الليلة هل تعرف ماري قرارك الجديد هذا؟

ليوفان : إن لم تكن فطنت لذلك، الآن أنا الذي سأشك بها! سأعود غدا.

لا أستطيع تحمل نظرات الدكتور شويتزر بعد هذا الحادث! هذا الأمر فوق طاقتي... حظا جيدا!

(يخرج)

المشهد التاسع

لوبلان – ماري

(يبقى لوبلان لوحده، جامدا، كأنه محزون، مديرا ظهره للجمهور، ثم يرفع رأسه، يتجه نحو الباب اليميني. يلمح ماري، التي دخلت من هذا الباب، عندما طرح سؤاله: «هل تعرف ماري قرارك الجديد» وتبقى واقفة في الظل).

لوبلان : (يتوقف) ماري! كنت هنا؟

ماري : (بصوت مشوش) الرائد ليوفان سيغادر أليس كذلك؟

لوبلان : نعم (ماري تقف جامدة)

وأنت لا تقولين شيئا! أنت لن تعارضيه على الأقل! (ماري تهز رأسها) لقد ذهبت إلى المعسكر الخصم:



مع أولئك الذين يضحون بالسعادة الحاضر، والأرض في مقابل كلمات عظيمة ومواقف عظيمة! إلى معسكر مزوري النقود (يخفض من صوته) هل من الصعب أن يحتفظ المرء بإنسانيته؟

ماري : الرائد ليوفان وأنا ارتبكنا وفقدنا الصبر في نفس اللحظة: لدى سماع الخبر الذي حملته لنا! ليس هناك شيء أكثر إنسانية من ذلك...

لوبلان : (بعصبية مكبوتة)

لا أقبل أن يؤثر موت إنسان على مصير الأحياء!

ماري (بنفس اللهجة): مهما يكن قرار الرائد ليوفان غريبا وبغيضا، ومهما يكن من أمر معارضتي له، هذا ما سيلقي بثقله على مصيرنا! فقط هذا...

لوبلان : (بمرارة)

أي ثقة هذه!

ماري : ثقة! نعم... أنا أثق بك لدرجة أني لا أسألك لماذا تريد الاحتفاظ بالرائد ليوفان هنا، ضاربا عرض الحائط كل منطق...

لوبلان : (بحيوية)

ببساطة لأن...

ماري : (تقاطعه) أعرف ذلك، أرى بوضوح بما تفكر.

لوبلان : لأننا من نفس السلالة، على العكس من ليوفان!

ماري : هل تعتقد أنه كان سيبقى في هذا البلد بعد أن

يطردك منه، هل كان سيفعل ذلك؟

لوبلان : بالتأكيد.

ماري : (بهدوء) أنت مخطئ! لأنه يمتلك الوسائل لفعل ذلك، وهو سيغادر بملء إرادته.

لوبلان : أي وسائل؟

ماري : رسالة تخوله قيادة مطلقة (لوبلان يقوم بحركة تدل على الشك) لقد رأيتها.

لوبلان : (بعد صمت) هذا الكرم يهينني! هذا يعني أنه لا يخشاني مطلقا؟

ماري : هذا يعني أنه يثق بي ثقة مطلقة...

لوبلان : وهذه الثقة تقيدك؟ وستقعين في أي فخ ينصب؟

ماري : (بهدوء تنظر إلى خاتمها)

لا يهم الفخ، المهم أن يبقي عليّ... (صمت. تمديدها التي تلبس فيها الخاتم إلى لوبلان وتقول وهي تبتسم) وهذا هو الفخ الأول، الفخ الأكثر شيوعا...

لوبلان : خاتمه!... هل فككت سره، إنه مشهور...

ماري : (تنظر إلى الخاتم وتقرأ).

«The life،s joy lies in doing»

لوبلان : بهجة الحياة الوحيدة هي في العمل «سيلتهمك يا ماري»...! (تقوم بحركة تدل على اللامبالاة، ويعود لوبلان إلى الكلام بصوت مشوش) أنت وأنا نعرف جيدا قيمة الوقت... لقد كانت خبرتنا الأخيرة يا ماري... آه! لا تلفظي أبدا كلمة السعادة!...



ماري : (بحدة) سوف أضع سعادتي في مكان آخر، مثله ومثل الدكتور شويتزر، ولن يسلبها أحدٌ مني...

لوبلان : (بقوة لكي يبدو جافا في كلامه)
سعادةُ الدكتور شويتزر ستسلب منه. لدي أمر بإيقافه قبل منتصف الليل باعتباره مواطنا ألمانيا.

ماري : ماذا؟

لوبلان : احتقريني إذن! وليكن يأسي مطلقا هذه الليلة!

ماري : (تمد يدها له) أنا أشفق عليك فقط.
(يحني وجهه باتجاه هذه اليد. صمت طويل)

لوبلان : بصدق
إذا أغلق المشفى، ولم تستطيعي بلوغ أوروبا قريبا. فماذا ستفعلين؟

ماري : بهدوء
دعني... دعني أستغرق في هذه اللحظة التي لم أفكر فيها أولا في نفسي!

لوبلان : بعنف
أنت تفكرين في ليوفان الذي لم يعد يمنعك شيء من أن تلحقي به!

ماري : تسحب يدها
لا: أفكرّ بالدكتور شويتزر...

لوبلان : مشوش
فكري بي أيضا، أنا الذي سأخبره عن أمر إيقافه!
(يخرج من الباب الخلفي)

المشهد العاشر

ماري – الطفل الأسود الصغير

(تبقى لوحدها، ماري تمشي حتى الباب الخلفي الذي تفتحه وتبقى هناك جامدة، مديرة ظهرها للجمهور، ولكن ها هو ذا باب الجهة اليمنى يفتح ويخرج منه بذعر الطفل الأسود الذي ظهر في الفصل الأول. إنه يرتدي قميصا طويلا. حافي القدمين وقد وضع ضمادا على ذراعه المصابة. يتقدم من دون ضجة إلى منتصف خشبة المسرح، وفي هذه الأثناء، تنادي ماري في الظلمة، بصوت مكبوت ولكن يائس).

ماري : هيرفيه! آه! هيرفيه...

الصغير : ماما!

ماري : (ماري تستدير وتركض نحو الصغير وتحمله بين ذراعيها. تجلس على كرسي، مقابل الجمهور، وتأخذه بحنان إلى صدرها)

يا صغيري!... لماذا خرجت من سريرك؟ لما لم تنم؟

الصغير : أنا خائف...

ماري : خائف؟ خائف من ماذا؟ من طم طم الطنبور الذي استغرق كل النهار؟ (يشير الصغير بلا برأسه) من الصمت الذي يسود الآن؟ (يشير الصغير بنعم برأسه) ولكن يجب الا تخف لا من هذه ولا من تلك يا عزيزي!



(تبدأ بهزه، وينام الصغير شيئا فشيئا) دائما يتبع الليل النهار، والضجة يتبعها الصمت... البارحة كنت متألما أليس كذلك؟ (يشير بنعم) واليوم حالك أفضل (يشير بلا) وهكذا هي الحال. وستكون كذلك دائما أيها الرجل الصغير!

ننتظر الآن وغدا نندم، الفرح ثم اليأس، ربما. هذه هي ظروفك،وهذه هي ظروفنا جميعا، ألا تفهم ما أقول لك! ولكنك تطمئن شيئا فشيئا، ستنام... وأنا لكي أهزك لدي حركة: أحملك من مكان إلى مكان... هل ترمي بنفسك في الفخ أنت أيضا؟

من العزة إلى اليأس ومن اليأس إلى العزة... وهكذا من دون توقف؟ أو بالأحرى هل تستطيع اختيار طريقك وأن تذهب بشكل مستقيم باتجاه النور؟

إذن تذكر دائما الطبيب العظيم الذي شفاك، والأب الأبيض الذي حضنك هذا الصباح...

كان الاثنان يبتسمان، يا صغيري، يبتسمان حتى اللحظة الأخيرة... ذاك الذي وجد طريقه بكل تأكيد، ذاك الشخص يضحك!

لا شيء يهم أكثر من ذلك، يا روحي الصغيرة: ابتسم... ابتسم.

(تنظر إليه وهو ينام، تبتسم طويلا ثم تستقر ابتسامتها وتخفي وجهها بيديها، وفي هذه الأثناء يدخل الدكتور



شويتزر من الباب الخلفي، يسبقه لوبلان. يبدو الدكتور شويتزر ثابت النظر مفتوح الفم، ويمشي آليا مشية رجل تلقى فجأة خبرا سيئا جدا. ينزل باتجاه ماري التي تستقبله ببشاشة، ينحني نحو الصغير).



المشهد الحادي عشر

ماري – شويتزر – لوبلان

شويتزر : (يشير إلى الولد) هل كان يتألم؟

ماري : كان خائفا.

شويتزر : وهذا ألم أيضا! (صمت) أنهم يقتلون الأطفال هنا في هذا البلد ونحن لا نستطيع فعل شيء لهم، لا الأب شارل، ولا أنا (يدفع ماري بهدوء نحو باب الجهة اليمنى) اذهبي! فليمض ليلته الأخيرة هنا بهدوء.

ماري : (بصوت مشوش)

دكتور!

(يضع الدكتور إصبعه على شفتيه، يداعب وجه الولد ثم يشير إلى باب الجهة اليمنى، ماري تخرج مع حمولتها)

شويتزر : (يتجه نحو لوبلان)

قلت قبل منتصف الليل؟ (لوبلان يشير برأسه بنعم في حين ينظر الدكتور إلى ساعته. يتنهد. صمت. فجأة يقول ببطء) سيد لوبلان ماذا ستفعل من أجلهم؟

لوبلان : هذا هو نفس السؤال الذي طرحه عليّ ليوفان ومن فمه النصف مفتوح الأب فيربيه... بماذا تريدني أن أُجيب، دكتور؟

شويتزر : (بنفس اللهجة)



أجب! «كل ما أستطيع فعله!»

لوبلان : (بنفس اللهجة)

ولكن ماذا أستطيع أن أفعل؟

شويتزر : هذا الجواب سيئ... (صمت) آه! غيابي سيعقد مهمتك سيد لوبلان. أنت لا توقفني وإنما تطلق البرص، والنعاس والملاريا!.

لوبلان : أعرف أن الموت سينتشر في كل مكان...

شويتزر : وخاصة الألم! إنه طاغية أكثر رهبة من الموت!

لوبلان : السود يشعرون بذلك أقل منا.

شويتزر : (بحدة)

ولكن هذا ليس صحيحا، أقسم لك بذلك! وجهلهم بما سيجري لهم يضاعف مخاوفهم... (بالهدوء ذاته، يجبر نفسه على الابتسامة) صدقني سيد لوبلان إنهم مثلك تماما لا يرغبون أكثر منك أن يموتوا!

(ماري تدخل من دون ضجة من باب الجهة اليمنى)

لوبلان : (من دون اقتناع)

لم يحتاجوا إلى أطباء منذ قرون خلت!

ماري : (توجه كلامها بهدوء إلى لوبلان)

ماذا كان سيحصل لعائلتك لو أن الطبيب لم يمر بها منذ عشر سنين؟

شويتزر : (بعد صمت) بماذا ينفع النقاش؟ وأين هم خصومنا؟

لا أحد غيرنا نحن الثلاثة، ومن جهة أخرى هذا القرار الذي لا وجه له... من جهة هناك تخل عن المسؤولية ومن جهة أخرى هناك أناس سوف يموتون... نعم إنها الحرب! (ينظر إلى ساعته، ثم يستدير باتجاه ماري)

ألم تكن الليلة هي الأخيرة التي نتحدث فيها عن مرور الوقت؟ وها هي وحدة القياس:

الدقائق التي بقيت لك لتعيشي حرة... حتى الحرية تنازع... (يذهب إلى الباب الخلفي، ويفتح درفتيه على الظلام، ويبقى هناك، مديرا ظهره للجمهور. تسمع تمتمته) أفريقيا... أفريقيا، يا وطني! (يستدير فجأة، يغلق عينيه، ويتكلم) لا! لا بد لي أن أتعلم كيف أحبها كأعمى... (صمت، بصوت غريب، وعيناه مغمضتان دائما) أرى على السفح أزهار أشجار القهوة البيضاء وأزهار التوليب الحمراء التي تعيش كالنظرات... أسمع أصوات الخنازير الملحمية، وأصوات صراصير الليل، صراصير لا تحصى...

توقف المطر فجأة وراحت الغابة تتنفس حتى أحشائها...

الأراضي مغطاة بالأشجار، والنهر الفاتر يجري تحت أقدامها. أرى لقلقا أبيض اللون تماما، يقف من دون



حراك تحت القمر...
وعلى ضفاف النهر الصغير يوجد نسر صياد نائم وعائلة سنونو كاملة. كانوا يحدثوني عن أوروبا وهناك ستتحدث لي عن أفريقيا و سيجرحني صوت الخطاف الثاقب... (يضع يديه أمام عينيه)

ماري : (بتأثر) دكتور!

شويتزر : (بهدوء)
هناك كتلة من الغابة والورود وكتلة أكبر من أشجار الأوكومة[1] وبين هاتين الكتلتين أكمة المقبرة... (صمت) المقبرة: إنها الشيء الوحيد الذي سيمكن التعرف عليه عندما تلتهم دودة الأرض مستشفاي وعندما تمسح الغابة كل شيء!... (يفتح عينيه) اسمعي! (صمت) لا شيء. أهل كاسا استسلموا للنوم... نائمون كلهم. إنه صمت الأجساد التي تتمتع بصحة جيدة... أنا بريء الذمّة إزاء كل الذين عهد بهم إليّ هنا، براءة تامة! ولكن لم أعد أستطيع قبول أي شخص آخر! (يوجه كلامه إلى لوبلان) سيد لوبلان هناك مصباح على مرفأ البضائع: يرشد الذين يأتون من بعيد إلى المشفى. هل تريد أن تأخذه؟ أنت الذي يحق له إطفاء هذا المصباح الآن؟

لوبلان : (بصوت منخفض)
هذا صحيح...

(1) okoumé، اوكومة، وهي شجرة من أفريقيا الإستوائية ذات خشب ورديّ يستعمل في التجارة.

(يخرج من الباب الخلفي)

شويتزر : (بحركة دائرية)

يا إلهي، أنا أضع كل هذا بين يديك: شفاء ثلاثمائة مريض، وميت واحد، لأني لست إلا إنسانا... يجب أن أقبل بذلك وأضع نفسي بين يديك بكل ثقة... أختنق من الحسرة والقلق لأني لست إلا إنسانا... (ينزل باتجاه ماري) آنسة ماري، أنا لا أعدك من بين همومي الكثيرة: أعرف أن الرائد ليوفان سيغادر إلى أوروبا، وأعتقد أن الرائد وأنت...

(لا يكمل كلامه)

ماري : هذا صحيح.

شويتزر : (يبتسم)

هل ستلحقين به قريبا!

ماري : (بهدوء)

لا.

شويتزر : (يفاجئ)

ولكن...

ماري : (بنفس اللهجة)

سأبقى في المشفى.

شويتزر : (بتأثر)

من دون طبيب! وكيف تستطعين ذلك...؟

ماري : سأحافظ على... سأحاول الحفاظ على... (تصرخ) آه! لا تحبطني يا دكتور!

شويتزر : (يأخذ بيدها)



يا صغيرتي...

ماري : (تسحب يدها)

ولا تشكرني أبدا!!

شويتزر : بلى! المهم أنه في مصيبتي هذه هناك شخص أفكر به...!

ماري : (واضعة خاتمها على شفتيها وبصوت منخفض)

نعم هذا هو المهم!...

شويتزر : (بعد صمت، وفجأة)

أنت تفكرين بفكرة أقوى من فكرة الغياب، أليس كذلك؟

ماري : (بصوت أصم) أقوى حتى من فكرة الحضور! أفكر في الإخلاص الأكثر تطلّبا من الحب!

شويتزر : إذن فاسمعي الكلمات الأخيرة التي تلقيتها من الأب شارل: «قل لها إني أفكر بروحها... وخاصة، قل لها ذلك في هذه الليلة!...».

ماري : (بصوت مشوش)

عمن كان يتحدث؟

شويتزر : (ينظر إليها ببطء) لقد أجاب قلبك سابقا.

(ماري تضع يدها على قلبها وتبقى ساكنة، شويتزر ومن دون أن يضيف كلمة واحدة يذهب إلى البيانو يجلس ويبدأ بعزف مقطوعة حزينة لفرانك. يظهر لوبلان فجأة من إطار الباب الخلفي، والمصباح مضاء في يده. ينظر مطولا إلى ماري، ثم يخفض رأسه.



وفجأة يرفع رأسه، ينفخ على المصباح بقوة ثم يقول بصوت عالٍ).

لوبلان : إنه منتصف الليل يا دكتور شويتزر!

(شويتزر يتوقف عن العزف ينهض مديرا ظهره للجمهور).

في حين يسدل الستار.



السيرة الذاتية للمراجع

أ. د. أحمد ديب شعبو

الجامعة اللبنانية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

الفرع الثالث

- مكان الولادة: الشمال - طرابلس - الحديد.
- تاريخ الولادة: ١٩٤٧/٨/١٧.
- الجنسية الأساسية: اللبنانية.
- جنسية مكتسبة: أستراالية.
- فاكس: Email: let-fr.chaabo-ahmad@hotmail.com

الحالة الزوجية: متزوج.

الدراسات:

- معادلة الدكتوراه الدولة الأسترالية - اللغة الفرنسية وآدابها - ١٩٨٨.
- دبلوم في اللغة الإنكليزية ١٩٨٩.
- ثلاث شهادات جامعية في تعليم اللغات الحديثة (١ و ٢) تعليم اللغات الحديثة بواسطة الحاسوب C.A.L.L (٣ الإعداد التربوي للنصوص التعليمية (تعليم اللغة الأجنبية كلغة ثانية) ١٩٩١.
- شهادة جامعية في الصحافة الحرة ١٩٩١.
- شهادة ترجمة إنكليزي - عربي ١٩٩١.



الأبحاث والمؤلفات والمنشورات

- العنف والأضحية في الأسطورة والمأساة.
- آفاق الثورة العقلانية في مجال العلوم الإنسانية: حول ستراوس وشومسكي.
- مسرح القساوة عند أرتو Artaud لغة الجسد والتعبير الزماني والمكاني.
- مدخل إلى مسرح جان جنيه.
- سفر التكوين في أساطير الإغريق وقدماء العرب.
- في نقد الفكر الأسطوري والرمزي.
- المرأة - الجسد والطوطم: إشكالية أسطورة الموت ورموزه في المجتمع الإفريقي.



العدد القادم

مأساة دكتور فاوستس

تأليف : كريستوفر مارلو



هذه السلسلة:

للكويتيين تجربة مبكرة في المسرح، فقد أدرك رواد العمل الثقافي المستنيرون أهمية دوره الحيوي وما يمكن أن يقدمه من تطور وتنمية لمجتمعهم، وعلى الرغم من اقتران انطلاقة المسرح الأولى بالمؤسسة التعليمية (المدرسة) مع بداية ثلاثينيات القرن الماضي، فإنه لم يكن مسرحا تعليميا تربويا فقط، بل كان مسرحا يشارك بنصوص جادة، قدم بعض قضايا المجتمع والحياة العامة إلى جانب تناوله أمجاد العروبة وتاريخها الإسلامي، وامتدت عروضه خارج أسوار المدرسة خلال العطلات الصيفية وخارج الوطن بصحبة الدارسين في القاهرة في بيت الكويت.

وظلت الدولة على اهتمامها بهذا الفن وتشجيعه ورعايته بالتمويل والإشراف بعد انتقال مسؤوليته إلى دائرة الشؤون الاجتماعية، وتخصيصها إدارة للمسرح والفنون ورعاية شؤون الفرق المسرحية، حتى انتقلت إلى وزارة الإرشاد والأنباء (وزارة الإعلام في ما بعد)، وتطور معهد الدراسات المسرحية إلى معهد عال لدراسة الفنون المسرحية أكاديميا.

وفي سبيل تنمية الوعي الفني المسرحي وإثرائه فكريا وأدبيا، ارتأت الوزارة إصدار ونشر سلسلة من المسرحيات العالمية المترجمة، لكبار الكتاب المتميزين على الساحة المسرحية العالمية، وأن تكون ترجمتها للعربية عن اللغة الأصلية للنص المسرحي، وتخضع للتحكيم العلمي، وكان يشرف عليها الشاعر الراحل أحمد العدواني، والدكتور محمد موافي أستاذ الأدب الإنجليزي، والمسرحي الكبير زكي طليمات، وصدر العدد الأول من سلسلة «من



المسرح العالمي» في أكتوبر عام ١٩٦٩ يحمل عنوان مسرحية «سمك عسير الهضم» للكاتب الغواتيمالي مانويل غاليتش، وترجمة الدكتور محمود علي مكي، وتوالى صدورها إلى أن بلغت ٣١٣ عددا حتى عام ١٩٩٨، بعد أن انتقلت مسؤولية إصدار السلسلة إلى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وقد تناولت نحو ٤٢٠ مسرحية عالمية (مع ملاحظة أن بعض الأعداد قد اشتمل على أكثر من مسرحية)، ولكل مسرحية مترجم ومراجع ودراسة تحليلية فنية ونقدية شملت خصائص النص وكاتبه.

عندما قرر المجلس الوطني في نوفمبر ١٩٩٨ دمج هذه النصوص المسرحية العالمية المترجمة ضمن نصوص لأعمال أدبية أخرى مختلفة بين القصة والرواية وأدب الرحلات والسير الإبداعية، وصدرت تحت عنوان «إبداعات عالمية»، وبعد مضي تسعة أعوام على ذلك، أبدى كثير من المهتمين بشؤون الحركة المسرحية في البلاد وخارجها الشوق إلى إعادة طباعة بعض هذه النصوص المسرحية الإبداعية المختارة.

لقد اعتبرت سلسلة «من المسرح العالمي» أضخم مشروع قومي عربي من منظور الترجمة والتركيز على مجال فني متخصص واحد، وإنه ليسعد المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب إعادة هذا الكنز المفقود إلى أيدي عشاق المسرح وهواته في الكويت ومختلف أرجاء الوطن العربي، في هذا الإصدار الثاني الذي بدأ بإعادة طبع رائعة شكسبير «العين بالعين».

الأمانة العامة



أسماء وكلاء التوزيع

الدولة	وكيل التوزيع الحالي	العنوان	تليفون	فاكس
الكويت	المجموعة الإعلامية العالمية	الشويخ - الحرة - قسيمة 34 - الكويت - الشويخ - ص.ب 64185 - الرمز البريدي 70452	24826820/1/2 24613872 /3	24826823
الإمارات	شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع	Emirates Printing, Publishing & Distribution Company Dubi Media City/ Dubai UAE P.O Box: 60499	00971 242629273	00971 42660337
السعودية	الشركة السعودية للتوزيع	المملكة العربية السعودية - الرياض - حي المؤتمرات - طريق مكة المكرمة - ص.ب 62116، الرمز البريدي 11585	00966 (01) 2128000	00966 (01) 2121766
سورية	المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات	سورية - دمشق - البرامكة	00963 112127797	00963 112128664
مصر	مؤسسة دار أخبار اليوم	جمهورية مصر العربية - القاهرة - 6 شارع الصحافة - ص.ب 372	00202 25782700- 25782632	00202 25782632
المغرب	الشركة العربية الأفريقية للتوزيع والنشر	المغرب - الرباط - ص.ب 13683 - زنقه سجلماسه - بلفدير - ص.ب 13008	00212 522249200	00212 522249214
تونس	الشركة التونسية للصحافة	تونس - ص.ب 719 - 3 نهج المغرب - تونس 1000	00216 71322499	00216 71323004
لبنان	مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع	لبنان - بيروت - خندق الغميق - شارع سعد - بناية فواز	00961 1666314/5 01 653259	00961 1653260
اليمن	القائد للنشر والتوزيع	الجمهورية اليمنية - صنعاء	00967 2/3201901	00967 1240883
الأردن	وكالة التوزيع الأردنية	عمان - تلال العلي - بجانب مؤسسة الضمان الاجتماعي	00962 65300170 - 65358855	00962 65337733
البحرين	مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف	البحرين - المنامة - ص.ب 10324	00973 17 480801	00973 17 480819
سلطنة عُمان	مؤسسة العطاء للتوزيع	ص.ب 473 - مسقط - الرمز البريدي 130 - العذيبة - سلطنة عُمان	00968 24492936	24493200 00968
قطر	دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع	قطر - الدوحة - ص.ب 3488	00974 4557809/10/11	00974 44557819
فلسطين	شركة رام الله للنشر والتوزيع	رام الله - عين مصباح - ص.ب 1314	00970 22980800	00970 22964133
السودان	دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع	السودان - الخرطوم - الرياض - ش المشتل - العقار رقم 52 - مربع 11	002491 83242702	002491 83242703
الجزائر	شركة بوقادوم للنقل وتوزيع الصحافة	Cite des preres FARAD.lot N09. Constantine. Algeria	00213 (0) 31909590	00213 (0) 31909328
العراق	شركة الازدهار للتوزيع	Al Izdihar (alizdihar__co@yahoo.com)	-	-
نيويورك	Media Marketing	Long Island City. NY 11101 - 3258	00718 4725488	00718 4725493
لندن	Universal Press	Universal Press & Marketing Limitd	(0) 0044 2087499828 0044208 7423344	44208 7493904





سعر النسخة

الكويت ودول مجلس التعاون الخليجي	نصف دينار
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام

للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147

دولة الكويت